المختار الاسلامى

المختار الاسلامى

مجلة كل المسلمين www.almokhtar-aleslami.com

العدد ٣٧٤ - السنة ٣٥ - ٢٠شوال ١٤٣٤هـ - ٢٧ أغسطس ٢٠١٣م - الثمن خمسة جنيهات

بسم اللّه الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة اللّه

فماذا نقول ؟

نقول ما أمرنا به ربنا

سبحانه وتعالى

إنا للّه وإنا إليه راجعون

ولا حول ولاقوة إلا باللّه

العلى العظيم

نعم .. ماذا نقول ؟؟

بعد أن أخرستنا الأحداث !!

حسين عاشور

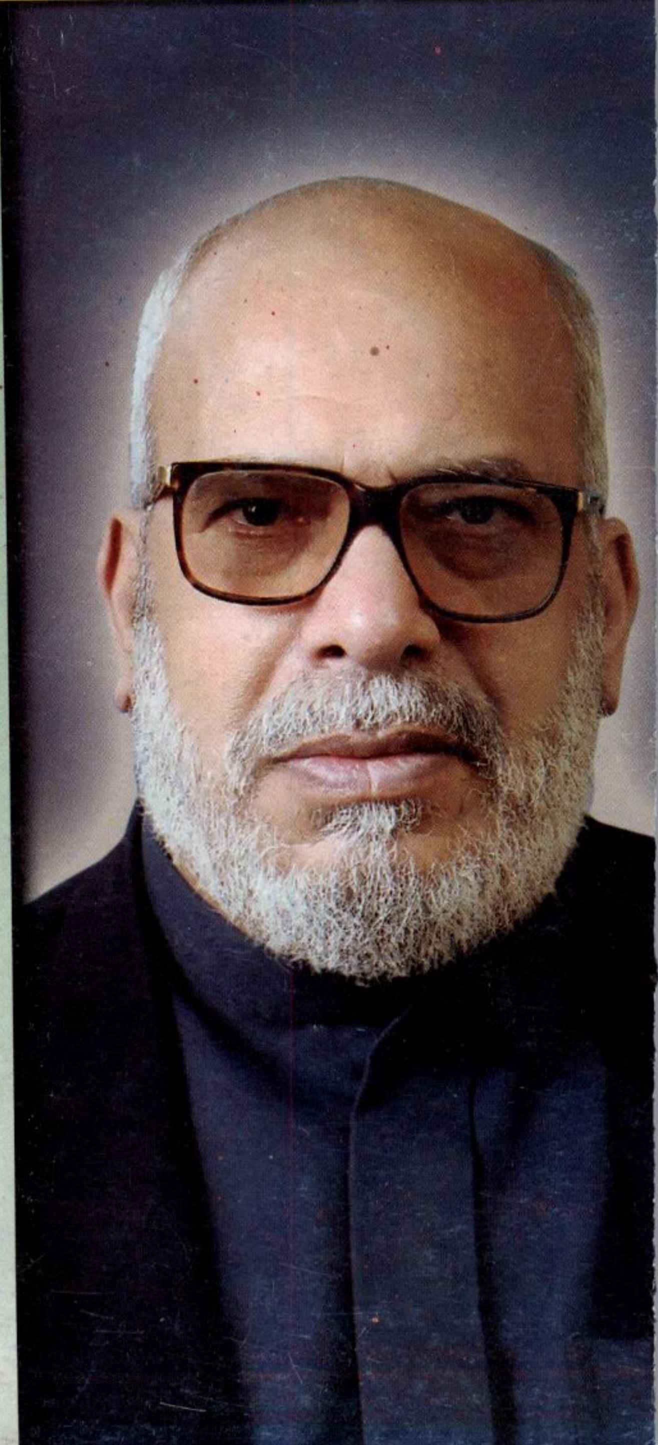

فى هذا العدد

- السلام عليكم ٢
- وكان أبوهما صالحا ٣
- إسرائيل طليعة استعمارية أم طبيعة دينية ١٠
- حكاية الفيل والعميان !! ٢٠
- أبو عمرو الأوزاعى ٢٤
- العبودية مشكلة إدمان ٣٠
- الأزمات الاقتصادية وثورة الجياع ٤٢
- قميص عبد الناصر ٤٧
- مدخل لتحليل الشخصية المصرية ٥٠
- سيد العظماء ٥٢
- اوقفوا الانهيار فى الإعلام المصرى ٦٠
- انهيار العولمة وإعادة اختراع العالم ٦٢
- القرآن .. أقوى علاج لحالات الاكتئاب البشرى ٦٩
- رجال الله ٧٢
- رسالة المغرب ٧٨

المختار الإسلامى

مجلة كل المسلمين

تصدر عن

جمعية المختار الإسلامى

المسجلة بوزارة الشئون الاجتماعية

٣ حارة الجمل

متفرع من ميدان السيدة زينب

اسسها حسين عاشور

(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩)

تصدر غرة كل شهر عربى

رقم الإيداع ٦٠٧٠ / ١٩٧٩

المشرف العام

حسين عاشور

رئيس التحرير

د . محمد مورو

سكرتير التحرير

حنان حسين عاشور

الإشراف الفنى

على عبيد

الإدارة والتحرير

٣ حارة الجمل

متفرع من ميدان السيدة زينب

تليفون : ٢٣٩٢٢١٥١

فاكس : ٢٣٩٢٢١٥١

الاشتراك السنوى :

داخل مصر ٧٥ جنيها

خارج مصر ٥ دولارا أمريكيا

المراسلات والحوالات والشيكات باسم

حنان حسين أحمد عاشور

بريد إليكترونى

alim_ebeid@yahoo.com

mokh_51@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم

قضايا الدولة :

لجنة الخمسين لا تمثل الشعب وباطلة دستوريًا

مفكرة الإسلام : صرح المستشار أحمد كشك - نائب رئيس هيئة قضايا الدولة - أن لجنة الخمسين ومن قبلها لجنة العشرة لا تمثل الشعب المصري، وإنما تمثل في غالبيتها النظام الأسبق، ولن يخرج عنها سوى مولود غير شرعي لا يمثل الشعب المصري، ولا يعبر عن إرادته .

وأضاف معللاً ذلك : "ويكفي للتدليل على ذلك أن مقرر لجنة الخمسين جابر نصار والذي كان عضواً في اللجنة التأسيسية، والتي وضعت دستور ٢٠١٢ كان له تصريح في القنوات الفضائية قال فيه : إننا ضغطنا في اللجنة التأسيسية حتى حصلنا للشعب المصري على مجموعة من الحقوق والحريات غير المسبوقة في تاريخ مصر".

وتابع كشك : "للأسف جاءت لجنة العشرة وصادرت هذه الحقوق والحريات، وأقصت ما يقارب التسعين بالمائة من أطياف الشعب المصري عن المشاركة في إبداء الرأي في التعديلات، ويكفي تأكيداً لذلك أن هذه اللجنة أعادتنا لاستبداد الحاكم الوارد في دستور ١٩٧١، وأثبتوا بحق أنهم محامو الحكومة الأوفياء وتعمدوا إقصاء محامي الشعب "مستشارو الهيئة" عن التمثيل في اللجنة للدفاع عن حقوق وحريات الشعب"، وفقًا لليوم السابع .

وتوقع أن لا ترى هذه التعديلات النور؛ لأنها باطلة دستوريًا من ناحية مخالفتها للمواد ٢١٧ و٢١٨ من الدستور، كما أنها باطلة موضوعًا لمخالفتها لأبسط المبادئ الدستورية المتعارف عليها، وهي مبدأ عدم جواز الانتقاص من أي حق أو تقييد أي حرية ثبتت للشعب أو لطائفة منه بموجب الدستور .

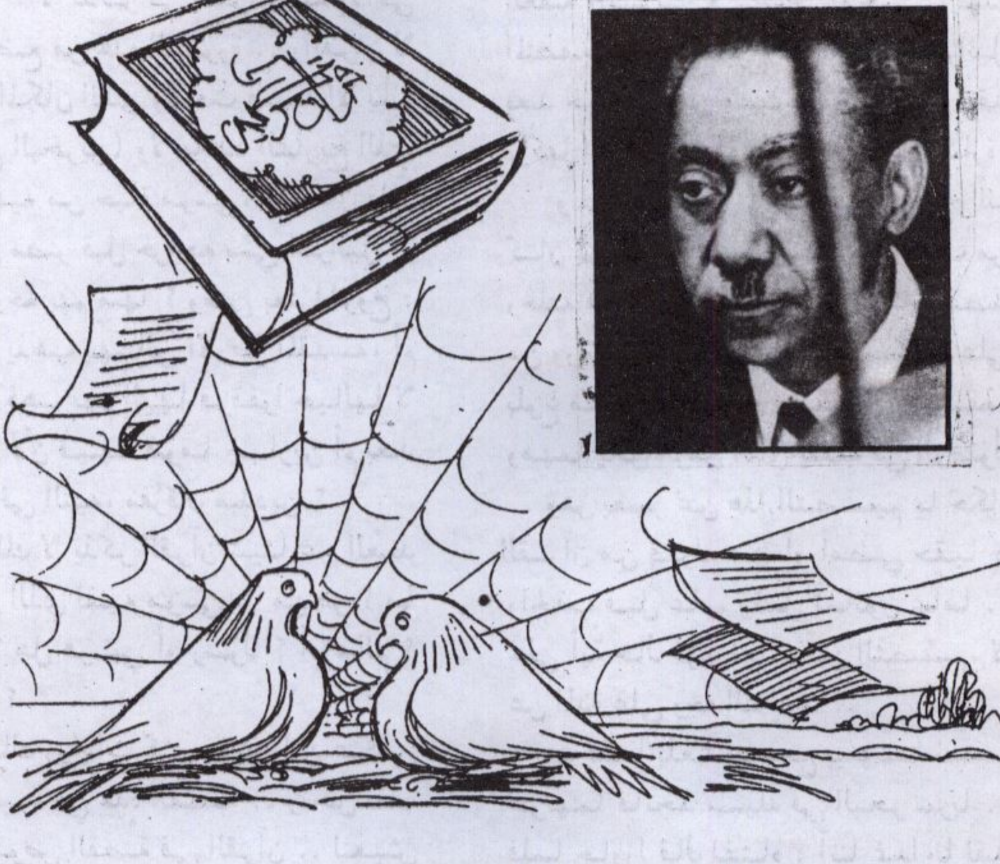

وكان أبوهما صالحا

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى
أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً (٦٠)
فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا
فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً (٦١) فَلَمَّا
جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن
سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا
إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا
أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ
سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا
كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً (٦٤)
فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ
عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً (٦٥) قَالَ لَهُ
مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا
عُلِّمْتَ رُشْداً (٦٦)﴾

هذه الحلقة من سيرة موسى - عليه السلام - لا تذكر في القرآن كله إلا في هذا الموضع من هذه السورة .. والقرآن لا يحدد المكان الذي وقعت فيه إلا بأنه (مجمع البحرين) ولا يحدد التاريخ الذي وقعت فيه من حياة موسى، هل كان ذلك وهو في مصر قبل خروجه ببني إسرائيل أم بعد خروجه بهم منها ؟ ومتى بعد الخروج : قبل أن يذهب بهم إلى الأرض المقدسة، أم بعد ما ذهب بهم إليها فوقفوا حيالها لا يدخلون لأن فيها قوما جبارين أم بعد ذهابهم في التيه، مفرقين مبددين ؟

كذلك لا يذكر القرآن شيئا عن العبد الصالح الذي لقيه موسى .. من هو ؟ ما اسمه ؟ هل هو نبي أو رسول ؟ أم عالم ؟ أم ولي ؟

وهناك روايات كثيرة عن ابن عباس وعن غيره في هذه القصة .. ونحن نقف عند نصوص القصة في القرآن .. لنعيش "في ظلال القرآن" ونعتقد أن لعرضها في القرآن على النحو الذي عرضت به، دون زيادة، ودون تحديد للمكان والزمان والأسماء، حكمة خاصة .. فنقف نحن عند النص القرآني نتملاه ..

﴿ وإذ قال موسى لفتاه : لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا ﴾ .

والأرجح - والله أعلم - أنه مجمع البحرين : بحر الروم وبحر القلزم .. أي البحر الأبيض والبحر الأحمر .. ومجمعهما مكان التقائهما في منطقة البحيرات المرة وبحيرة التمساح .. أو أنه مجمع خليجي العقبة والسويس في البحر الأحمر .. فهذه المنطقة كانت مسرح تاريخ بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر .. وعلى أي فقد تركها القرآن مجملة فنكتفي بهذه الإشارة.

ونفهم من سياق القصة فيما بعد - أنه كان لموسى - عليه السلام - هدف من رحلته هذه التي اعتزمها، وأنه كان يقصد من ورائها أمرا، فهو يعلن تصميمه على بلوغ مجمع البحرين مهما تكن المشقة، ومهما يكن الزمن الذي ينفقه في الوصول .. وهو يعبر عن هذا التصميم بما حكاه القرآن من قوله : ﴿ أو أمضي حقبا ﴾ والحقب قيل عام، وقيل ثمانون عاما .. على أية حال فهو تعبير عن التصميم، لا عن المدة على وجه التحديد ..

﴿ فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا .. فلما جاوزا قال لفتاه : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا .. قال : أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا .. ﴾ .

والأرجح كذلك أن هذا الحوت كان مشويا، وأن إحياءه واتخاذه سبيله في البحر سربا كان آية من آيات الله لموسى، يعرف بهما موعده، بدليل عجب فتاه من اتخاذه سبيله في البحر، ولو كان يعني أنه سقط منه فغاص في البحر ما كان في هذا عجب .. ويرجح هذا الوجه أن الرحلة كلها

مفاجآت غيبية .. فهذه إحداها ..

وأدرك موسى أنه جاوز الموعد الذي حدده ربه له للقاء عبده الصالح .. وأنه هنالك عند الصخرة ثم عاد على أثره هو وفتاه فوجداه :

﴿ قال : ذلك ما كنا نبغ .. فارتدا على آثارهما قصصا .. فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ﴾ .

ويبدو أن ذلك اللقاء كان سر موسى وحده مع ربه، فلم يطلع عليه فتاه حتى لقياه .. ومن ثم ينفرد موسى والعبد الصالح في المشاهد التالية للقصة :

﴿ قال له موسى : هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا ؟ ﴾ .

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (٦٧) وكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً (٧٠) فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً (٧١) ﴾

بهذا الأدب اللائق بنبي، يستفهم ولا يجزم، ويطلب العلم الراشد من العبد الصالح العالم .

ولكن علم الرجل ليس هو العلم البشري الواضح الأسباب القريب النتائج، إنما هو جانب من العلم اللدني بالغيب أطلعه الله عليه بالقدر الذي أراده، للحكمة التي أرادها .. ومن ثم فلا طاقة لموسى بالصبر على الرجل وتصرفاته ولو كان نبيا رسولا .. لأن هذه التصرفات حسب ظاهرها قد تصطدم بالمنطق العقلي، وبالأحكام الظاهرة، ولا بد من إدراك ما وراءها من الحكمة المغيبة ؛ وإلا بقيت عجيبة تثير الاستنكار .. لذلك يخشى العبد الصالح الذي أوتي العلم اللدني على موسى ألا يصبر على صحبته وتصرفاته :

﴿ قال : إنك لن تستطيع معي صبرا .. وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ؟ ﴾ .

ويعزم موسى على الصبر والطاعة، ويستعين الله، ويقدم مشيئته :

﴿ قال : ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا ﴾ .

فيزيد الرجل توكيدا وبيانا، ويذكر له شرط صحبته قبل بدء الرحلة، وهو أن يصبر فلا يسأل ولا يستفسر عن شيء من تصرفاته حتى يكشف له عن سرها :

﴿ قال : فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا ﴾ .

ويرضى موسى .. وإذا نحن أمام المشهد الأول لهما :

﴿ فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها ﴾ .

سفينة تحملهما وتحمل معهما ركابا، وهم في وسط اللجة ؛ ثم يجيء هذا العبد الصالح فيخرق السفينة ! إن ظاهر الأمر هنا أن هذه الفعلة تعرض السفينة وركابها

لخطر الغرق وتؤدي بهم إلى هذا الشر ؛ فلماذا يقدم الرجل على هذا الشر ؟

لقد نسي موسى ما قاله هو وما قاله صاحبه، أمام هذا التصرف العجيب الذي لا مبرر له في نظر المنطق العقلي ! والإنسان قد يتصور المعنى الكلي المجرد، ولكنه عندما يصطدم بالتطبيق العملي لهذا المعنى والنموذج الواقعي منه يستشعر له وقعا غير التصور النظري .. فالتجربة العملية ذات طعم آخر غير التصور المجرد .. وها هو ذا موسى الذي نبه من قبل إلى أنه لا يستطيع صبرا على ما لم يحط به خبرا، فاعتزم الصبر واستعان بالمشيئة وبذل الوعد وقبل الشرط .. ها هو ذا يصطدم بالتجربة العملية لتصرفات هذا الرجل فيندفع مستنكرا ..

نعم إن طبيعة موسى طبيعة انفعالية اندفاعية، كما يظهر من تصرفاته في كل أدوار حياته .. منذ أن وكز الرجل المصري الذي رآه يقتتل مع الإسرائيلي فقتله في اندفاعة من اندفاعاته .. ثم أناب إلى ربه مستغفرا معتذرا حتى إذا كان اليوم الثاني ورأى الإسرائيلي يقتتل مع مصري آخر، هم بالآخر مرة أخرى !

نعم إن طبيعة موسى هي هذه الطبيعة .. ومن ثم لم يصبر على فعلة الرجل ولم يستطع الوفاء بوعده الذي قطعه أمام غرابتها .. ولكن الطبيعة البشرية كلها تلتقي في أنها تجد للتجربة العملية وقعا وطعما غير التصور النظري .. ولا تدرك الأمور حق إدراكها إلا إذا ذاقتها وجربتها.

ومن هنا اندفع موسى مستنكرا :

﴿ قال : أخرقتها لتغرق أهلها ؟ لقد جئت شيئا إمرا ﴾ .

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (٧٢) قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً (٧٣) فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (٧٥) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً (٧٦) فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً (٧٨) ﴾ .

وفي صبر ولطف يذكره العبد الصالح بما كان قد قاله منذ البداية :

﴿ قال : ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا ؟ ﴾ .

ويعتذر موسى بنسيانه، ويطلب إلى الرجل أن يقبل عذره ولا يرهقه بالمراجعة والتذكير .

﴿ قال : لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا ﴾ .

ويقبل الرجل اعتذاره، فنجدنا أمام المشهد الثاني :

﴿ فانطلقا .. حتى إذا لقيا غلاما فقتله .. ﴾ .

وإذا كانت الأولى خرق السفينة واحتمال غرق من فيها ؛ فهذه قتل نفس .. قتل عمد لا مجرد احتمال .. وهي فظيعة كبيرة لم يستطع موسى أن يصبر عليها على الرغم من تذكره لوعده .

﴿ قال : أقتلت نفسا زكية بغير نفس؟ لقد جئت شيئا نكرا ﴾ .

فليس ناسيا في هذه المرة ولا غافلا ؛ ولكنه قاصد .. قاصد أن ينكر هذا النكر الذي لا يصبر على وقوعه ولا يتأول له أسبابا ؛ والغلام في نظره بريء .. لم يرتكب ما يوجب القتل، بل لم يبلغ الحلم حتى يكون مؤاخذا على ما يصدر منه ..

ومرة أخرى يرده العبد الصالح إلى شرطه الذي شرط ووعده الذي وعد، ويذكره بما قال له أول مرة .. والتجربة تصدقه بعد التجربة :

﴿ قال : ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا ﴾ .

وفي هذه المرة يعين أنه قال له : (ألم أقل لك ؟) لك أنت على التعيين والتحديد .. فلم تقتنع وطلبت الصحبة وقبلت الشرط ..

ويعود موسى إلى نفسه، ويجد أنه خالف عن وعده مرتين، ونسي ما تعهد به بعد التذكير والتفكير .. فيندفع ويقطع على نفسه الطريق، ويجعلها آخر فرصة أمامه :

﴿ قال : إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني .. قد بلغت من لدني عذرا ﴾ .

وينطلق السياق فإذا نحن أمام المشهد الثالث :

﴿ فانطلقا .. حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه ﴾ .

إنهما جائعان، وهما في قرية أهلها بخلاء، لا يطعمون جائعا، ولا يستضيفون ضيفا .. ثم يجد أن جدارا مائلا يهم أن ينقض .. والتعبير يخلع على الجدار حياة وإرادة كالأحياء فيقول : ﴿ يريد أن ينقض ﴾ فإذا الرجل الغريب يشغل نفسه بإقامة الجدار دون مقابل !!!

وهنا يشعر موسى بالتناقض في الموقف .. ما الذي يدفع هذا الرجل أن يجهد نفسه ويقيم جدارا يهم بالانقضاض في قرية لم يقدم لهما أهلها الطعام وهما جائعان، وقد أبوا أن يستضيفوهما أفلا أقل من أن يطلب عليه أجرا يأكلان منه ؟

﴿ قال : لو شئت لاتخذت عليه أجرا ﴾ !

وكانت هي الفاصلة .. فلم يعد لموسى من عذر، ولم يعد للصحبة بينه وبين الرجل مجال :

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً (٨٠) فَأَرَدْنَا أَن

يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً (٨٢) ﴾

﴿ قال : هذا فراق بيني وبينك .. سأنبئك بتأويل ما لم تستطيع عليه صبرا ﴾ .

وإلى هنا كان موسى - ونحن الذين نتابع سياق القرآن - أمام مفاجآت متوالية لا نعلم لها سرا .. وموقفنا منها كموقف موسى .. بل نحن لا نعرف من هو هذا الذي يتصرف تلك التصرفات العجيبة، فلم ينبئنا القرآن باسمه، تكملة للجو الغامض الذي يحيط بنا .. وما قيمة اسمه ؟ إنما يراد به أن يمثل الحكمة الإلهية العليا، التي لا ترتب النتائج القريبة على المقدمات المنظورة، بل تهدف إلى أغراض بعيدة لا تراها العين المحدودة .. فعدم ذكر اسمه يتفق مع الشخصية المعنوية التي يمثلها .. وإن القوى الغيبية لتتحكم في القصة منذ نشأتها .. فها هو ذا موسى يريد أن يلقى هذا الرجل الموعود .. فيمضي في طريقه ؛ ولكن فتاه ينسى غداءهما عند الصخرة، وكأنما نسيه ليعودا .. فيجد هذا الرجل هناك .. وكان لقاؤه يفوتهما لو سارا في وجهتهما ؛ ولو لم تردهما الأقدار إلى الصخرة كرة أخرى .. كل الجو غامض مجهول، وكذلك اسم الرجل الغامض المجهول في سياق القرآن ..

ثم يأخذ السر في التجلي .

﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر، فأردت أن أعيبها ؛ وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ .

فبهذا العيب نجت السفينة من أن يأخذها ذلك الملك الظالم غصبا .. وكان الضرر الصغير الذي أصابها اتقاء للضرر الكبير الذي يكنه الغيب لها لو بقيت على سلامتها ..

﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا .. فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما ﴾ .

فهذا الغلام الذي لا يبدو في حاضره ومظهره أنه يستحق القتل، قد كشف ستر الغيب عن حقيقته للعبد الصالح، فإذا هو في طبيعته كافر طاغ، تكمن في نفسه بذور الكفر والطغيان، وتزيد على الزمن بروزا وتحققا .. فلو عاش لأرهق والديه المؤمنين بكفره وطغيانه، وقادهما بدافع حبهما له أن يتبعاه في طريقه .. فأراد الله ووجه إرادة عبده الصالح إلى قتل هذا الغلام الذي يحمل طبيعة كافرة طاغية، وأن يبدلهما الله خلفا خيرا منه، وأرحم بوالديه ..

ولو كان الأمر موكولا إلى العلم البشري الظاهر، لما كان له إلا الظاهر من أمر الغلام، ولما كان له عليه من سلطان،

وهو لم يرتكب بعد ما يستحق عليه القتل شرعا .. وليس لغير الله ولمن يطلعه من عباده على شيء من غيبه أن يحكم على الطبيعة المغيبة لفرد من الناس .. ولا أن يرتب على هذا العلم حكما غير حكم الظاهر الذي تأخذ به الشريعة .. ولكنه أمر الله القائم على علمه بالغيب البعيد .

﴿ وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان تحته كنز لهما، وكان أبوهما صالحا، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما، رحمة من ربك وما فعلته عن أمري .. ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ﴾ .

فهذا الجدار الذي أتعب الرجل نفسه في إقامته، ولم يطلب عليه أجرا من أهل القرية - وهما جائعان وأهل القرية لا يضيفونهما - كان يخبىء تحته كنزا، ويغيب وراءه مالا لغلامين يتيمين ضعيفين في المدينة .. ولو ترك الجدار ينقض لظهر من تحته الكنز فلم يستطع الصغيران أن

يدفعا عنه .. ولما كان أبوهما صالحا فقد نفعهما الله بصلاحه في طفولتهما وضعفهما، فأراد أن يكبرا ويشتد عودهما، ويستخرجا كنزهما وهما قادران على حمايته .

ثم ينفض الرجل يده من الأمر .. فهي رحمة الله التي اقتضت هذا التصرف .. وهو أمر الله لا أمره .. فقد أطلعه على الغيب في هذه المسألة وفيما قبلها، ووجهه إلى التصرف فيها وفق ما أطلعه عليه من غيبه ﴿ رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ﴾ .

فالآن ينكشف الستر عن حكمة ذلك التصرف، كما انكشف عن غيب الله الذي لا يطلع عليه أحدا إلا من ارتضى ..

وفي دهشة السر المكشوف والستر المرفوع يختفي الرجل من السياق كما بدا .. لقد مضى في المجهول كما خرج من المجهول .. فالقصة تمثل الحكمة الكبرى .. وهذه الحكمة لا تكشف عن نفسها إلا بمقدار .. ثم تبقى مغيبة في علم الله وراء الأستار ..

وهكذا ترتبط - في سياق السورة - قصة موسى والعبد الصالح، بقصة أصحاب الكهف في ترك الغيب لله الذي يدبر الأمر بحكمته، وفق علمه الشامل الذي يقصر عنه البشر، الواقفون وراء الأستار، لا يكشف لهم عما وراءها من الأسرار إلا بمقدار ..

سيد قطب

خواطر مسلم

إسرائيل طليعة استعمارية أم طبيعة دينية؟

كي نستطيع أن نواجه التحدي الصهيوني الذي مثل ويمثل أكبر التحديات وأخطرها بالنسبة لأمتنا وهويتنا وحضارتنا ومصالحنا ومستقبلنا بل ووجودنا ذاته، ينبغي أن نعرف طبيعة هذا الكيان المغتصب وتوجهاته .

وقد يبدو للوهلة الأولى أن هناك تعارضاً بين نظرتين لفهم طبيعة المجتمع الصهيوني :

الأولى : ترى أنه جزء من مشروع الهيمنة الغربية على المنطقة في إطار الصراع الحضاري .

والثانية : ترى أن المجتمع الصهيوني مجتمع توراتي قائم على الأسطورة الدينية، وأن اليهود؛ بما لهم من نفوذ مالي وإعلامي وغيره، نجحوا في السيطرة على صناعة القرار الغربي، فحصلوا على الدعم اللازم لمشروعهم .

والحقيقة أنه بشيء من التركيب يمكن أن نجد أن للمفهومين أصلهما التاريخي والواقعي؛ فالكيان الصهيوني نشأ أصلاً من رغبة غربية استعمارية لإقامة كيان أو مجموعة وظيفية في هذه البقعة الحساسة من قلب العالم العربي والإسلامي كجزء من مشروع الهيمنة الغربية على المنطقة، وكحلقة من حلقات الصراع الحضاري بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية .. وتلاقت هذه الرغبة الاستعمارية أو غذت مفهوم الحلم والأسطورة المزيفة لدى اليهود عن حق العودة إلى فلسطين وإقامة وطن قومي لهم على أساس التفسير المحرف للتوراة المحرفة أصلاً، أو على أساس الدعاية الدينية اليهودية لجمع يهود العالم في هذه البقعة .

وفي الحقيقة فإن الرغبتين والمصلحتين التقتا في محطة تاريخية تمخض عنها

بقلم: د. محمد مورو

قيام هذا الكيان، ويجب هنا أن ندرك أن هناك وجداناً غربياً كارهاً ومعادياً لليهود أصلاً، ومارس الاضطهاد بحقهم طويلاً؛ وبذلك فإن إقامة وطن قومي لهم يحقق هدفين : الأول : هو التخلص من اليهود كزبالة بشرية غير مرغوب فيها في الغرب، ويحقق ثانياً : الاستفادة من هذا الكيان في تحقيق الأهداف الاستعمارية، والكيد للحضارة الإسلامية، وتمزيق وحدة المنطقة، ومنع نهوضها أو تطورها، واستمرار نهبها .

إذن فالكيان الصهيوني هو مشروع غربي في الأساس تم صياغته داخل أروقة المؤسسات الاستعمارية الغربية قبل أن يفكر فيه هرتزل بفترة طويلة .. فهناك على سبيل المثال لا الحصر نداء نابليون بونابرت إلى يهود العالم من أجل إعادة إنشاء مملكة القدس القديمة "سنة ١٧٩٩م" في إطار المشروع الاستعماري في الشرق الذي كان يحكم به نابليون، وهناك دعوة الرئيس الأمريكي (جون آرامز) إلى استعادة اليهود لفلسطين "سنة ١٨١٨م".

وهناك مذكرة سكرتير البحرية الإنجليزية إلى وزير الخارجية (بالمرستون) التي يقترح فيها دعوة أوروبا إلى إعادة اليهود إلي فلسطين "عام ١٨٣٩م" .. وهناك برنامج (اللورد سافتبري) إلى مؤتمر لندن بشأن توطين اليهود في فلسطين "سنة ١٨٤٠م" .. وهناك مشروع "إدوارد تنورد" لإقامة دولة يهودية متكاملة في فلسطين تحت الحماية الإنجليزية المؤقتة إلى أن تتمكن هذه الدولة من الوقوف على قدميها "سنة ١٨٤٥م" .. وهناك كتاب (أرنست لاهان) المستشار الخاص لنابليون الثالث في المسألة الشرقية "إعادة بناء أمة اليهود" "سنة ١٨٦٠م" ..

وهناك كتاب "أرض جلاد" للورنس أوليفنت عضو البرلمان الإنجليزي ووزير الخارجية والذي يقترح فيه إقامة مستوطنة يهودية على مساحة ١,٥ مليون فدان في الأردن وفلسطين "عام ١٨٨٠م" .. ثم

هناك تأسيس بلاكستون في شيكاغو لمنظمة العتبة العبرية نيابة عن (إسرائيل) من أجل حث اليهود على الهجرة إلى فلسطين، ومذكرة بلاكستون إلى الرئيس الأمريكي بنيامين هاريسون ووزير خارجيته جيمس لين بإنشاء وطن قومي لليهود عام ١٨٩١م، وصدور كتاب الدبلوماسي الإنجليزي وليمر هشلر "إعادة اليهود إلى فلسطين" الصادر عام ١٨٩٤م، كل هذا قبل صدور كتاب تيودور هرتزل "الدولة اليهودية" الذي صدر عام ١٨٩٦م.

وفي هذا الصدد يقول جمال حمدان في كتابه "استراتيجية الاستعمار والتحرير"، ص ١٦٨: "التقت الإمبريالية العالمية مع الصهيونية لقاء تاريخياً على طريق واحد هو المصلحة الاستعمارية المتبادلة، فيكون الوطن اليهودي قاعدة تابعة وحليفاً مضموناً أبداً يخدم مصالح الاستعمار؛ وذلك ثمناً لخلقه إياه وضمانه لبقائه، ويقول أيضاً في الكتاب نفسه، ص ١٧٦: "الاستعمار هو الذي خلق (إسرائيل) بالسياسة والحرب، وهو الذي يمدها بكل وسائل الحياة من أسلحة وأموال، وهو الذي يضمن بقاءها ويحميها علناً".

ويؤكد (روجيه جارودي) على هذه الحقيقة أيضاً بقوله: "إن الأب الروحي للصهيونية تيودور هرتزل أشعل الرغبة الاستعمارية في خلق (إسرائيل) وقدم لها مسوِّغات إقامة هذه الدولة على أساس أنه إذا قامت إحدى الدول الاستعمارية بحماية هذه الدولة اليهودية فسوف تتمتع بميزة على خصومها؛ لأن هذه الدولة ستعتبر رأس حربة مزروعة في المنطقة من أجل التغلغل الاستعماري".. وكتب تيودور هرتزل سنة ١٨٩٥م في كتابه (الدولة اليهودية) قائلاً: "ستكون هذه الدولة بالنسبة إلى أوروبا متراساً ضد آسيا، وستكون بمثابة الحصن المتقدم للحضارة ضد البربرية".

وفي محاضرة لروجيه جارودي في ١٣/١٠/١٩٩٦م في فندق الماريوت بالقاهرة قال: "إن (إسرائيل) ستلعب دوراً هاماً في المواجهة الحضارية بين العالم الغربي والعالم الإسلامي نظراً لموقعها الاستراتيجي في قلب العالم الإسلامي".

وإذا كانت هذه هي أهداف السياسة الاستعمارية من خلق (إسرائيل) لتكون وكيلاً للاستعمار الغربي وجماعة وظيفية لأداء وتنفيذ أهدافه، فإن القادة الصهاينة لعبوا على تلك النقطة تجاه الرأي العام الغربي وقواه السياسية وأجهزته ومؤسساته الحاكمة، وفي الوقت نفسه

لعبوا على الأسطورة التاريخية لدى اليهود عن الوعد التوراتي بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، سواء كان هذا السلوك من قادة الصهاينة نوعاً من الدجل والدعاية، أو أنه يعبر عن اقتناعهم الحقيقي، سواء كان هؤلاء القادة الصهاينة ملحدين أو مؤمنين فإنهم عكسوا في سلوكهم وتصريحاتهم وبنائهم للكيان الصهيوني تفسيراً أسطورياً توراتياً - محرفاً بالطبع ومزيفاً وكاذباً، فجولدا مائير زعيمة حزب العمل التاريخية في تصريح لها لصحيفة لوموند الفرنسية ١٩٧١/٥/١٥م تقول : "نشأ هذا البلد تنفيذاً لوعد الرب ذاته؛ ولهذا لا يصح أن نسأله إيضاحاً عن شرعية هذا الوجود" .

ومناحم بيجين "ليكود" يصرح لصحيفة دافار الإسرائيلية، ١٩٧٨/١٢/١٤م بقوله : "لقد وعدَنا الرب هذه الأرض، ولنا الحق فيها" .

أما موشي دايان "ملحد" فيقول : "إذا كنا نملك التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فينبغي أن نمتلك أيضاً بلاد التوراة، بلاد القضاة أرض أورشليم وحيرون وأريحا" جيروزاليم بوست، ١٩٦٧/٨/١٠م

وهكذا يتردد دائماً على ألسنة الزعماء الصهاينة نفس المنطق سواء كانوا من اليمين أو اليسار، أعضاء في حزب العمل أو في كتلة الليكود، ناطقين باسم الجيش أو الحاخامية؛ فالتوراة ترسم كل شيء في (إسرائيل)، ترسم ثقافة الأطفال في المدارس؛ فبناء على توجيه دافيد بن جوريون فإن الدين اليهودي في إسرائيل يدرس كمادة إجبارية في المدارس .

والزواج في (إسرائيل) زواج ديني، ولا يوجد في (إسرائيل) دستور؛ لأن التوراة هي القانون الأساس للدولة، والتوراة هي التي تعرّف المواطن وتحدد من هو الإسرائيلي، وهي ذاتها تحدد حدود الدولة، بل وتسوِّغ الحرب والإرهاب "علينا ألاّ ننسى أجزاء التوراة التي تسوِّغ هذه الحرب ؛ فنحن نؤدي واجبنا الديني بوجودنا هنا؛ فالنص المكتوب يفرض علينا واجباً دينياً وهو أن نغزو أرض العدو" حاخام برتبة نقيب، هآرتس، ١٩٨٢/٧/٥م

والمذابح من دير ياسين إلى صابرا وشاتيلا تُحلِّها التوراة وتأمر بها : اوحرِّقوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل ومسن وشيخ حتى البقر والحمير بحد السيف سفر يشوع، الإصحاح ٦ آية ٢١

وبالطبع فإن هذا الفهم للتوراة - وهي محرفة أصلاً - هو بدوره فهم مغلوط، والحديث عن الوعد الإلهي في التوراة حديث مغلوط؛ لأن يهود إسرائيل أولاً ليسوا هم أبناء اليهود الأوائل من ناحية ؛

فهم من يهود الخزر غالباً، وحتى لو فرض أنهم من أبنائهم فقد فقدوا أهليتهم بسبب عصيانهم التاريخي المستمر لأنبيائهم، ولأنه بعد الإسلام بالذات فإن الأمة الإسلامية هي الأمة الرسالية، ونحن من ثم أولى من اليهود بإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وموسى، ويوشع، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وعيسى بن مريم - عليهم السلام - وأن هؤلاء الأنبياء وغيرهم قد بايعوا محمداً الرسول - صلى الله عليه وسلم - أثناء رحلة الإسراء والمعراج عندما أمَّهم في تلك الليلة في الصلاة في بيت المقدس، وأن موسى وداود، وسليمان وغيرهم من أنبياء بني إسرائيل لو بعثوا اليوم ما كان بوسعهم إلا الدخول في الإسلام، باعتباره الدين الحق الحنيف الذي جاء به إبراهيم أصلاً من عند الله، وجاء به النبيون من قبله ومن بعده، والذي جاء محمد - صلى الله عليه وسلم - ليكون به خاتم الأنبياء، وليكون المسلمون هم ورثة كل وعد إلهي.

والكيان الصهيوني كيان عنصري؛ فهو قائم في تعريف المواطنة وكذا في سلوكه السياسي على فكرة تجميع يهود العالم الذين يُزعم أنهم من أب واحد وكتلة قومية ودينية واحدة، وأنهم شعب الله المختار وبقية العالم عبيد لهم، والديمقراطية الإسرائيلية لليهود فقط.

والكيان الإسرائيلي كيان عسكري وعدواني؛ فـ(إسرائيل) تنفق ٥٠٪ من ميزانيتها على الجيش، والمؤسسة العسكرية تتحكم في كل شيء في (إسرائيل) تقريباً، وعلى حد تعبير بنيامين نتنياهو رئيس وزراء الكيان الصهيوني السابق "فإن القوة العسكرية مؤسسة لا بديل عنها للمحافظة على أمن إسرائيل .. ونظريات السلام مع العرب ونظريات الخلاص اليهودي بالسلام يدلان على رؤية غير واقعية للواقع الإسرائيلي البائس، وعلى أحلام كاذبة تنبع من محاولة الهروب من الصراع المحتوم عليها نتيجة وجودنا فإنه بين الشعوب العربية" بنيامين نتنياهو - كتاب "كان تحت الشمس".

وهكذا فالمفهوم الإسرائيلي للسلام يتلخص في التفوق العسكري والخضوع الفاعل عسكرياً وسياسياً من جانب العرب للهيمنة الإسرائيلية، وهذا بالطبع يشير إلى استمرار وجود قوة عسكرية هائلة، واستمرار توجيه ضربات إجهاضية لكل محاولة عربية لامتلاك القوة.

ولأن الكيان الصهيوني جماعة وظيفية أولاً لممارسة العدوان لحساب الاستعمار

الغربي "الأمريكي حالياً" ولأن حقيقة وجودهم مصنوع وغير طبيعي فإن المجتمع الإسرائيلي الذي قام على سلب حقوق الآخرين يحس بهاجس الأمن أو ما يسمى بعقدة الأمن، وهي عقدة ناجمة عن شعور إسرائيلي داخلي بأن وجودهم على هذه الأرض غير شرعي - ولم تفلح محاولات زرع ثقافة مصطنعة في إعطاء الإسرائيليين الشعور بالانتماء أو المشروعية؛ ولذا فإن المجتمع الإسرائيلي مجتمع معسكر؛ فأنماط المعيشة في إسرائيل االمستوطنات، الكيبوتزات، الموشوفاتب وطريقة التجنيد والتعبئة ونظام الاحتياط ووضع المؤسسة العسكرية السياسي من حيث كونها مصدراً للنخب السياسية والأمنية رفيعة المستوى، وأهمية حقيبة وزارة الدفاع في الحكومات الإسرائيلية، ونسبة مخصصات الميزانية العامة الإسرائيلية للاتفاق العسكري، توضح الوضع الذي تمثله المؤسسة العسكرية في (إسرائيل) .

ويعاني المجتمع الإسرائيلي أيضاً مسألة عدم تجانس اليهود القادمين من مختلف بقاع العالم، من غرب أوروبا وأمريكا، ومن شرق أوروبا، ومن اليمن والعراق والمغرب وروسيا، والحبشة وغيرها، وكل منهم يحمل ثقافة مختلفة، ولن يفلح الحديث عن الأسطورة التاريخية أو وحدة الأصل اليهودي في صهر هذا المزيج غير المتجانس، وكذلك فإن الوجود العربي الفلسطيني داخل فلسطين المحتلة يمثل مشكلة كبيرة بالنسبة لإسرائيل ؛ فلا هي قادرة أو راغبة على إعطائهم حقوقهم السياسية كمواطنين إسرائيليين ومع تزايد معدلات النمو السكاني الفلسطيني فإن مشكلة ديموجرافية خطيرة ستواجه الكيان الصهيوني .

الكيان الصهيوني بعد الحرب الباردة :

إذا كان الصهاينة قد قبلوا أن يقوموا بدورهم كوكيل للاستعمار الغربي في المنطقة مقابل السماح لهم بإقامة كيانهم ودعمه مادياً ومعنوياً، فإن مرور عشرات السنين على هذا الكيان جعل قادته يفكرون في التحول من دور التابع إلى دور الشريك الاستراتيجي، وتواكب في تلك اللحظة حدوث متغير هام في الصراع الدولي ومعادلاته الإقليمية ؛ فبسقوط الاتحاد السوفيتي السابق ونهاية الحرب الباردة، قلّت أهمية (إسرائيل) الاستراتيجية بالنسبة للغرب عموماً وأمريكا خصوصاً، وتواكب ذلك مع الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة بعد حرب تحرير الكويت ١٩٩١م والاحتلال الأمريكي للعراق ٢٠٠٣، أن أمريكا جاءت بجيوشها ولم تستخدم هذه المرة - لأسباب كثيرة - الصهاينة كجماعة

وظيفية لأداء خدمات عسكرية نيابة عنها، وهذا بدوره قلل الأهمية الاستراتيجية للإسرائيليين، ولكي يعيد الإسرائيليون التأكيد على أهميتهم ودورهم ساروا على عدة محاور أولها زيادة التغلغل الصهيوني في الإدارة الأمريكية؛ وخاصة الخارجية والمخابرات والدفاع ومراكز البحث ومؤسسات صنع القرار الأمريكي عموماً بشكل لم يسبق له مثيل على الإطلاق في تاريخ العلاقة بين الطرفين.

ثم عملت (إسرائيل) على تقديم نفسها ليس كتابع لأمريكا بل كحليف استراتيجي - مستقل - لها، ولو كحليف صغير أو أقل حجماً.

يقول شمويل كاتز في بحثه المعنون: "وجهة نظر إسرائيلية للعلاقة الأمريكية الإسرائيلية": "ما مدى صحة القول بأن (إسرائيل) تعتمد على الولايات المتحدة الأمريكية اعتماداً تاماً؟ إنه قول سخيف حتماً لو أخذناه على ظاهره؛ فإذا كانت إسرائيل توصف دائماً بأنها حليف؛ فمعنى ذلك أن هناك بين الولايات المتحدة وإسرائيل حالة من الاعتماد المتبادل لا تقل، بل إنها تزيد في بعض الجوانب على العلاقة بين الولايات المتحدة وأوروبا الغربية"، ويضيف الباحث الإسرائيلي شمويل كاتز: "لا غنى لأمن أمريكا عن إسرائيل الصديقة، لا بسبب الحقائق الجغرافية السياسية وحدها؛ بل أيضاً لأن إسرائيل أصبح لديها القدرة على خدمة المصالح الأمريكية بشكل إيجابي ولاسيما في الشرق الأوسط".

ويطرح كاتز أن علاقة الحلفاء هي الأكثر قبولاً بقوله: "ولا شك في أن بالوسع إقامة علاقة صحيحة ومتكافئة كالعلاقة بين الحلفاء بإبرام اتفاق تعاقدي لا يتأثر بالتحيزات السياسية ليضمن لإسرائيل أن تحصل لا على منح بل على مقابل للخدمات".

وطرحت (إسرائيل) نفسها بعد الحرب الباردة كذراع قوية وفعالة في مواجهة الصحوة الإسلامية، وإذا كانت دوائر حلف الأطلنطي وأمريكا بالذات قد اعتبرت أن الإسلام هو العدو الجديد بعد انهيار الاتحاد السوفييتي السابق، وأن الصحوة الإسلامية تمثل خطراً على المصالح الأمريكية والغربية قيمياً وسياسياً وعسكرياً، واقتصادياً، فإن (إسرائيل) التي تحس بالخطر ذاته عليها مستعدة للقيام بدورها لحماية نفسها ولحماية مصالح أمريكا والغرب أيضاً.

كما أكثرت (إسرائيل) من الحديث عن

دورها الهام في موازنة الخطر الإيراني المرتقب.

وقد طرحت (إسرائيل) نوعين من التكتيك لخدمة الأهداف الأمريكية بعد الحرب الباردة: الأول يتضمن سيطرة أمريكا اقتصادياً وكذلك سياسياً وعسكرياً على المنطقة من خلال إدماج المنطقة في تجمع اقتصادي وعلاقات اقتصادية "السوق الشرق أوسطية" تحقق لأمريكا أهدافها، وتكرس سيادتها على العالم والمنطقة، وتكون إسرائيل فيه أكبر الشركاء والقائد الإقليمي للتنمية التي تحقق بدورها من خلال رفع مستوى معيشة العرب نزع فتيل التطرف الإسلامي الذي يستمد مادته من تدهور الأوضاع الاقتصادية في المنطقة، وفي الوقت نفسه

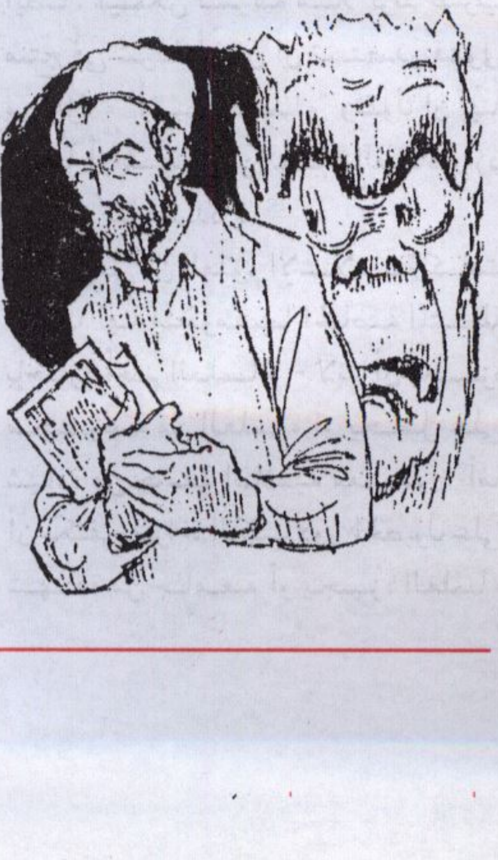

تحقيق نوع من السلام مع العرب يضمن لإسرائيل البقاء في المنطقة كجزء مندمج فيها من خلال شبكة قوية ومتنوعة من العلاقات الاقتصادية مع المحافظة على تقوية الذراع العسكري الإسرائيلي ونزع سلاح العرب؛ أي أن يحقق نوعاً من الربط بين (إسرائيل) والعرب يجعل من الصعب على الدول العربية أن تفكر في قطع صلتها بـ (إسرائيل) والتحول إلى علاقة عداء والرؤية الثانية تقوم على استمرار إسرائيل منفصلة عن الشرق الأوسط وليست مندمجة في نظام شرق أوسطي؛ لأن مستقبل إسرائيل والمصالح الغربية من يتمحور حول إسرائيل ذاتها وقدرتها على الاحتفاظ بشخصيتها في وسط معاد، وأنه لا توجد وسيلة للتعامل مع هذا المحيط إلا بالقوة والردع والعنف .. يقول نتنياهو في كتابه "مكان بين الأمم" : "السلام الوحيد الممكن تحقيقه بين العرب و(إسرائيل) هو السلام الذي يعتمد على ردع العرب، هو سلام حذر ومسلح يوفر لإسرائيل درجة كافية من القوة القادرة على ردع الجانب العربي عن التفكير في استمرار الحرب".

وفي الحقيقة فإن (إسرائيل) قد نجحت بوسائل عدة في إقناع واشنطن بأسلوب التحالف بدلاً من أسلوب التابع؛ وأصبح هناك انطباقا كاملا بين البلدين.

تأملات فوضى الفتوى

مما لا شك فيه أن الفتوى الدينية عموماً، والإسلامية خصوصاً هي حاجة اجتماعية يحتاج إليها الفرد والمجتمع والأسرة، الرجل والمرأة، الشاب والشيخ على حد سواء، وبديهي أن أصحاب وأتباع دين معين يحتاجون إلى تنظيم حياتهم الاجتماعية والأسرية والمادية وفقاً للفتوى الدينية، بل إن مسائل الزواج والطلاق والميراث والزي والسلوك والمعاملات المالية وأنواع الطعام والشراب الحلال وغيرها كثير تخضع تماماً لموضوع الفتوى، وأكثر الكتب توزيعاً هي كتب الحلال والحرام وكتب الفتاوى وهذا طبيعي ومفهوم ومعقول، ولكن المشكلة غياب ضوابط حقيقية لهذه الفتوى، فهناك مثلاً ظاهرة الدعاة الجدد - أو بعضهم إذا أردنا الدقة - يدخل في مناطق ليست من اختصاصه ولا هو مؤهل لها، وصحيح أن الحديث عن الرقائق "القصص والأحداث والمواعظ التي ترقق القلب وتدعو إلى المكارم" هي من باب المباح والمطلوب، ولا بأس أن يدخل هؤلاء الدعاة الجدد في ذلك المجال وتلك المساحة، ولكن الدخول في مساحة الفتوى تحتاج إلى متخصصين وإلى ضوابط، ومن ناحية ثانية نلاحظ أن بعض الفضائيات تستضيف شخصيات لا يمكن أن تنطبق عليها أوصاف وشروط الفتوى، قد يكون البعض مثقفاً أو مطلعاً أو مفكراً إسلامياً، ولكن هذا شيء وضوابط الفتوى شيء آخر تماماً، وفى مجال الكتب أيضاً رأينا بعض الناس ممن توقفت دراستهم أصلاً عند المرحلة الإعدادية والثانوية ولم يتلقوا تعليماً دينياً منظماً، يصدر كتباً عن الحلال والحرام ويقع في أخطاء فادحة، لمجرد أنه قرأ بعض الكتب أو المراجع الدينية، وهذا أمر خطير لأنه يتصل بتنظيم حياة الناس ويمكن أن تترتب عليه مشكلات كبرى والجانب الاقتصادي في المسألة موجود أيضاً، فيمكن لشركة مثلاً تريد ضرب منتج في شركة أخرى أن تستصدر فتوى من هؤلاء "أشباه العلماء" وتقول أن بها حراماً أو شبهة ومن ثم فإن الفساد وارد جداً في هذا الصدد .

وبدهي أن العلوم الإسلامية كانت علوما لها منظومتها الخاصة المتصلة بإجازة أحد العلماء - لابد أن يجيزه مجموعة من العلماء أو يحصل على شهادة من جامعة إسلامية معتمدة - أما أن يكتفي بقراءة الكتب دون الحصول على شهادة من جامعة أو يجيزه العلماء

المعتمدون فإن هذا نوع من التهريج لا يليق بالعلوم الإسلامية، ولنتصور مثلاً رجلاً قرأ في كتب الهندسة أو الطب هل يمكن السماح له بالإفتاء في الطب والهندسة أو إجراء العمليات الجراحية، نحن لا نضيق واسعاً، فباب الوعظ وذكر المناقب والقصص الدينية مناخ لمن أراد، أما الفتوى فمسألة أخرى مختلفة تماماً تحتاج أولاً إلى عدد معين من سنوات الدراسة المنتظمة، تحتاج إلى إجازة من العلماء أو شهادة من جامعة إسلامية متخصصة، تحتاج إلى حفظ القرآن الكريم، وفهم التفسير، والتخصص في السنة النبوية، ثم دراسة أصول الفقه، وإجادة اللغة العربية، فضلاً عن الاضطلاع بالعلوم العصرية حتى

يفهم المفتي الخلفيات العلمية والاجتماعية للسؤال الذي يجيب عنه، وهناك شروط أخرى مفصلة في كتب الفقه، من فقد شرطاً منها فقد شرط الفتوى ومن المفروض أن يمتنع عنها .

ولا شك أن الحياة تقدمت بصورة كبيرة، وظهرت مشكلات متجددة كثيرة ومتصلة بعلوم وأوضاع اجتماعية لم تظهر من قبل، وهذا يقتضي الاجتهاد ولكن من أهل الاجتهاد ويقتضي الإلمام بالعلوم العصرية، وإذا كان ذلك متعذراً للعلماء الدينيين، فيجب عمل لجان للفتوى تضم متخصصين في العلوم الدينية، ومتخصصين في العلوم العصرية والعلوم الاجتماعية، والمضطلعين بضرورات وظروف المجتمع، حتى إذا خرجت الفتوى كانت بناء على علم بالأوضاع القائمة، وبأحدث العلوم الطبيعية والطبية والعلوم الاجتماعية أيضاً، لفهم حقيقة الموضوع علمياً وموضوعياً، ثم قياسه على النص الديني الثابت والأحكام المتغيرة، ثم تصدر الفتوى، فتكون صحيحة أيضاً، تدرك الظروف الموضوعية ثانياً، ولا تثقل على الناس ثالثاً، وهذا بالطبع مهمة يجب أن تقوم بها الهيئات الدينية والجامعات ومراكز البحث بالتعاون مع الحكومات والهيئات المختلفة .

د. محمد مورو

حكاية الفيل والعميان !!

يُحكى أن ثلاثةً من العُميان أدخلوا في غرفة بها فيل .. وطلِبَ منهم أن يتعرفوا عليه ليصفوه؛ فأخذوا يتحسَّسونه بأيديهم، ثم خرجوا يصفونه .. قال الأول: الفيل هو أربعة قوائم .. وقال الثاني: الفيل يشبه الثعبان .. أما الثالث فقال: بل يشبه المقشّة .. ومن هنا دب الخلاف وبدأ الشجار.. وتمسّك كل واحد برأيه وراحوا يتجادلون ويتهم بعضهم بعضًا بالكذب .. ويفسّر لنا الرجل الحكيم الأمر قائلاً: "لعلكم لاحظتم سر الخطأ الذى وقعوا فيه؛ فقد تحسس كل واحد منهم جزءًا من الفيل ووصفه من واقع خبراته السابقة: فالأول لم يعرف من الفيل إلا أرجله .. والثانى أمسك بخرطومه، وأمسك الثالث بذيله .. ولم يكذب أحد منهم فى وصفه للجزء من الفيل الذى وقع فى خبرته .. ولكنه أخطأ فى إنكار ما تحسّسه الآخران وعرفاه" ..

محمد يوسف عدس
مستشار سابق بهيئة اليونسكو

تساق هذه الحكاية للتدليل على أن النظر إلى الحقيقة الواحدة من زوايا مختلفة يؤدى إلى رؤى متعددّة تبعًا لاختلاف خبراتنا السابقة التى تؤثر على أحكامنا ووجهات نظرنا للأمور؛ ومن ثم فلا مبرر للجدل والتخاصم .. فقد تكون الرؤى متكاملة يصحح بعضها بعضًا .. ومن الأولى الاستماع إلى خبرات الآخرين وأخذها فى الاعتبار وعدم التعصب للرأي الشخصيّ .. وهذا كلام جميل ومفهوم ..

ولكنك لو تأملت فى الأمر مليًا لتبيَّن لك أن الحكاية نفسها تنطوىٰ على تسطيح شديد للواقع.. ومبالغة فى افتراض حسن النوايا .. والاستناد إلى مجموعة من الفروض الخيالية التى لا تحدث فى الواقع العملي المشهود .. وإليك هذه الملاحظات :

أولا- مالذى جعل كل واحد منهم يتوقف عند حدود العضو الذى تحسّسه ولم يستمر فى اللمس فيرتفع أعلى وأسفل ويلفّ يمينًا ويساراً بيده على جسم متصلِ الأجزاء لا انفصال فيه ..؟ وبذلك يكتشف أجزاءً أخرى من الواقع .. وقد يصل بذلك إلى أحكام أقرب إلى الحقيقة مما فعل ؛ وإذن فقد كان هناك جُهدٌ فى وُسع كل منهم القيام به ولكنه ابتسر وقصّر ..

ثانيا- تفترض الحكاية أن الثلاثة الذين جرى عليهم الاختبار عميان .. ولكنها لم تذكر شيئا عن حواسهم الأخرى فهل كانوا صُمًّا لا يسمعون .. محرومين من حاسة الشّم أيضًا .. وحتى حاسة اللمس نفسها لا تُستخدم فقط فى تحديد الشكل الخارجي للأشياء وإنما تتحسس حرارة الأجسام .. ومنْ تآزُرِ عمل هذه الحواس مجتمعةً يستطيعَ الإنسان أن يصل إلى تصوّرات أدق وأكثر تفصيلاً ..

وبهذا كان من الممكن أن يعرفوا أن ما يتحسّسونه هو جسم حيّ يتنفّس بصوت مسموع و تشعٍ منه حرارة .. وإذا لم يكن الفيل أو الجمل قد وقع فى خبراتهم السابقة فسوف يحكمون أن ما تحسّسوه هو جسم حيوان ضخم وليس مجرد مقشّة أو ثعبان أو أربعة قوائم ..

ثالثا- التجربة مقطوعة الصلة ببيئتها الثقافية فلم نعرف فى أي بلد وقعت .. ولا الطبقة الى اختيرت منها العيِّنة ..؟ ولا الجنس ولا السن .. ولا مستوى التعليم ولا مستوى الأمانة العلمية والأخلاقية .. كل هذه الشروط والمُحَدِّدات تُركت بدون تحديد.. ومن ثم وصلنا إلى النتيجة التى صمّمها الباحث المجرِّب مسبقًا .. لإقناعنا بحكمته ..

تقول : وما علاقة البيئة الثقافية بإدراك الناس للحقيقة ..؟ أقول لك العلاقة أقوى بكثير مما تظن .. فهي المرجعية الأساس فى تفسير الخبرة الجديدة ؛ وأبسط مثال على هذا : أن الطفل الريفي سوف يتعرف على سنبلة القمح من اللمس بينما طالب الجامعة فى القاهرة سيقول لك إنها أشواك أو إبر لأنها لم تقع فى خبرته العملية على الإطلاق .. حتى لو كانت موصوفة له فى جزء من دراسته .. حفظها لزوم الامتحان .. ثم أسقطها من ذاكرته، ليملأ فراغه العقليّ بأحداث المسلسلات المتلفزة التى استمع إليها وعاشها

بوجدانه ..

وهنا نصل إلى النقطة الهامة فى الموضوع فسوف يسأل القارئ الذكيّ ومن يصنع هذه البيئة الثقافية .. ؟ وأقول : من المفروض أنها صناعة تبدأ من الأسرة وتمتد إلى المدرسة .. فالمجتمع بمؤسساته : التعليمية والدينية وأنديته وإعلامه المكتوب والمسموع والمشاهد ..

وفى مجتمعنا المصري للأسف الشديد كان هناك دائما على مدى عقود من الزمن محاولة متنامية ممنهجة لتقليص دور الأسرة فى التربية والتثقيف .. ثم امتدّت هذه المحاولة إلى تقليص دور المسجد .. ثم المدرسة والمعاهد التعليمية .. لتتركز وظيفة التثقيف أو (التجهيل بتعبير أدقّ) فى يد السلطة الحاكمة، لتصنع رأيًا عامًا يصفّق لسياستها القمعية ..

وفى الثلاثين عاما التى حكم فيها مبارك انهارت تمامًا مؤسسات المجتمع الثقافية والتعليمية .. وأصبحت المساجد تابعة لوزارة الأوقاف فقط للتمويل وإدارة المبانى .. بينما هيمن جهاز أمن الدولة على اختيار وتعيين أئمة المساجد : حتى خطبة الجمعة هو الذى كان يختار موضوعاتها .. وله عيون مبثوثة لرصد كل نشاط فى المسجد .. لضمان السيطرة الكاملة عليه .. وهكذا ورثنا نظام مبارك الفاسد فى الثقافة والإعلام .. وكان الأمل فى إصلاح هذه المؤسسات بعد الثورة .. ولكن اصطدمت محاولة الإصلاح بثلاثة عوامل :

(١) جيش من العاملين فى الإعلام والثقافة ربّاهم النظام السابق على عينيه واختارهم لمناهضة عقيدة الأمة وفكرها وهويّتها وتطويعها للعبودية ..

(٢) مجموعة من الصحف ومحطات التلفزة المستقلة أكثرها تابع لرجال المال والأعمال الذين توطدت مصالحهم وعلاقاتهم مع نظام مبارك ..

(٣) تأكّد دور أجهزة الإعلام التابعة لأصحاب المال المنهوب وزادت فى أعدادها وخطرها بعد الثورة وصُبّت فيها مليارات الدولارات من مصادر داخلية وخارجية .. بهدف واضح ومحدّد وهو إعاقة الثورة وإسقاط السلطة التى انتخبها الشعب .. وتحويل الشعب إلى قطعان من العبيد تمهيدا لإعادته إلى حظيرة الاستبداد والتبعية.. ولتحقيق هذا الغرض دخل فى مهنة الإعلام عناصر إضافية من شخصيات معدومة المواهب ! معدومة الضمير .. تحترف صناعة الأكاذيب والسباب وادعاء البطولات الزائفة ..

بهذه التركيبة الجديدة حدث انشقاق عميق بين الدولة الوليدة التى لم تتمكن بعدُ من استكمال مؤسساتها الديمقراطية لأسباب طال شرحها .. وبين النخبة المسيطرة على الصحافة والإعلام .. وفى مناخ الحرية التى جاءت مع الثورة ضعفت قبضة السلطة حتى على المؤسسات والمنظومات التابعة لها فبدت معاندة لا مساندة للسلطة الجديدة .. وزاد الوضع سوءاً تدخل جهات أجنبية ذات مال وسطوة ومصالح غير خافية .. تتناقض مع الثورة المصرية وأهدافها فى تحقيق الأمن

والإصلاح والاستقرار.. وهي العناصر الضرورية التى لا يمكن بدونها الانطلاق فى عملية التنمية والانتاج ..

وعودة إلى تجربة الفيل والعميان، والحكمة التى أريدَ لنا أن نستخلصها - فيما يتعلق باحترامِ الرأي الآخر - فإننى أقول إن ما يبثه الإعلام ويصرُّ عليه .. ويكرره ليل نهار ويحاول تثبيته فى العقول، ليس وجهات نظر ولا رأي ورأي آخر، وإنما هو يبثّ سلسلة من الأكاذيب ويختلق وقائع ولقاءات وتصريحات وأخبار مزيفة ؛ بحيث أصبح الفضاء الإعلامي فقاعة هائلة من الأكاذيب والتلفيقات ضاعت معها الحقائق ..

ليست مشكلتنا الإعلامية إذن فى الفيل والعميان واختلاف وجهات نظر من يتحسّسون الواقع ويصفونه بأمانة كما وقع فى خبرتهم .. فليس هناك عميان بل أناس يتمتعون بحواس كاملة ويعملون بحماس .. وبعيون مفتوحة فى خدمة من يدفع لهم بسخاء غير مسبوق فى التاريخ المصري الحديث .. وليس هناك فيل ولا أي حقيقة أو واقع ملموس تختلف عليه الآراء ..

فالواقع والحقيقة يجرى طمسهما بحرَفيَّةٍ منقطعة النظير .. ويتم عليهما التعتيم الكامل فى وسائل الإعلام .. فلا يصلان أبدا إلى وعى الجماهير .. نعم هناك أصوات متناثرة هنا وهناك تنطق بالحقيقة وتجتهد فى تبليغها للناس ولكنها أصوات غارقة فى محيط متدفِّق من الأكاذيب .. يُضَيَّق عليها الخناق .. وتوضع فى أركان معتمة من الصورة ؛ فلا تلفت نظر القراء أو المشاهدين الذين تتجه أنظارهم حيث تُسلّط الأضواء ؛ فتشغلهم الفرقعات الإعلامية : "نحن نكشف عن الفضائح والمفاجآت ..! ندخل فى الكواليس المخفيّة ..! ونطّلع على الأسرار ..! ونتسلل إلى القاعات المغلقة .. وننشر الحقائق المغيبة خلف الأبواب ..!" إلى آخر هذه الفرقعات الإعلامية التى يُقصد بها إجهاد الذاكرة بالكم الهائل من الأخبار والبيانات والتصريحات المتضاربة.. والتعتيم على الحقائق .. وتغييب الوعي بين جماهير مضطربة حائرة ..

لقد انحصرت وظيفة الإعلام الآن فى تحويل الجماهير إلى قُطْعان من العبيد العميان فى محاولة مستميتة : لتشويشهم، وتجريدهم من قدراتهم الفكرية، واختزالهم إلى مستوى الحواس، والاحتياجات البدائية للحيوان الغُفل، والكراهية العمياء، لما يحييهم وينفعهم على المدى البعيد، بحيث يسهل سوْقُهم بعيدا عن الحقيقة، فلا يرون منها إلا أجزاء مشوّهة .. ولا يدركون من الفيل إلا مُبْتَسَرات لا تجمعها وحدةٌ عضوية .. فهو فى روْعهم إما : أربعة أرجل قائمة فى فراغ .. أو ثعبان .. أو مجرد مقشّة .. أما الفيل الحقيقي رغم ضخامته فلن يصل إلى إدراكهم أبداً ..

محمد يوسف عدس
مستشار سابق بمنظمة اليونسكو
ملبورن - استراليا
myades34@gmail.com

أبو عمرو الأوزاعى

عاده أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين، فلبى دعوته ..

- السلام عليكم ورحمة الله ..

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، مالذي أبطأ بك عنا يا أوزاعي ؟

- وما الذي تريد ياأمير المؤمنين ؟

- أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم .

- ياأمير المؤمنين، انظر ولا تجهل شيئاً مما أقول .

- وكيف أجهله وأنا أسالك عنه، وقد وجهت فيه إليك وأقدمتك له ؟

- أن تسمعه ونعمل به .

فصاح الربيع بالأوزاعي وأهوى بيده إلى السيف، فانتهره المنصور وقال : هذا مجلس مثوبه لا عقوبة ..

فطابت نفس الأوزاعي وانبسط في الحديث :

يا أمير المؤمنين : حدثني مكحول عن ابن بسر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فهي نعمة من الله سيقت إليه، فإن قبلها يشكر وإلا كانت حجة عليه من الله ليزداد بها إثماً، ويزداد الله بها عليه سخطاً" .

ياأمير المؤمنين : من كره الحق فقد كره الله، إن الله هو الحق المبين

يا أمير المؤمنين : لا يشغلنك شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم، أحمرهم وأسودهم، ومسلمهم وكافرهم، فكل له عليك نصيبه من العدل .. فكيف إذا تبعك منهم وفد وراء وفد، ليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه، أو ظلامة سقتها إليه؟

يا أمير المؤمنين : لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رءُوفا رحيماً، مواسياً بنفسه باسطا لهم يده، وكان فيهم

بالقسط قائماً، ولعوراتهم ساتراً، لم تغلق عليه دونهم الأبواب، ولم يقم عليه دونهم الحجاب، يبتهج بالنعمة عندهم، ويبتئس بما أصابهم ..

يا أمير المؤمنين : حدثني مكحول عن زيادة بن جارية، عن حبيب بن مسلمة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدشة لأعرابي لم يتعمدها .. فأتاه جبريل فقال يامحمد : إن الله لم يبعثك جباراً ولا مستكبرا .. فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الأعرابي فقال : اقتص مني، فقال الأعرابي :

قد أحللتك بأبي أنت وأمي .. ما كنت لأفعل ذلك أبداً ولو أتت على نفسي، فدعا له الرسول بخير ..

فكيف بمن شقق أبشار الناس، وسفك دماءهم، وخرب ديارهم، وأجلاهم عن بلادهم، وغيبهم الخوف منه ؟!!

يا أمير المؤمنين : رض نفسك لنفسك، وخذ لها الأمان من ربك، وارغب في جنة عرضها السماوات والأرض، قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لقاب قوس أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها".

يا أمير المؤمنين : إن الملك لو بقى لمن قبلك لم يصل إليك، وكذلك لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك .

يا أمير المؤمنين : تدري ماجاء عن جدك في تأويل هذه الآية :

﴿ ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ .. (الكهف : ٤٩) .

قال : الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك .. فكيف بما عملته الأيدي، وحدثته الألسن؟!

يا أمير المؤمنين : بلغني عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : لو ماتت بغلة على شاطئ الفرات لخفت أن يسألني الله عنها .. فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك؟

يا أمير المؤمنين : أتدري ما جاء عن جدك في تأويل هذه الآية :

﴿ ياداوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى ﴾ (ص : ٢٦) ؟ قال داود إذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك في أحدهما هوى، فلا تمنين في نفسك أن يكون له الحق فيفلح على صاحبه، فأمحوك من نبوتي ثم لا تكون خليفتي ولا كرامة؛ ياداوود إنما جعلت رسلي إلى عبادي رعاء كرعاء الإبل، لعلمهم بالرعاية، ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير، ويدلوا على الكلأ والماء .

يا أمير المؤمنين : إنك قد بليت بأمر عظيم لو عرض على السماوات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه .. حدثني يزيد عن جابر عن عبد الرحمن عن أبي عمرة الأنصاري، أن عمر بن الخطاب

استعمل رجلاً من الأنصار على الصدقة، فرآه بعد أيام مقيماً،

فقال له : مامنعك من الخروج إلى عملك ؟ أما علمت أن لك مثل أجر المجاهدين في سبيل الله ؟

قال : لا !

قال عمر : وكيف ذاك ؟

قال : لأنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

"ما من وال يلي من أمور الناس شيئاً إلا أتى يوم القيامة فيوقف على جسر من نار فينتفض به الجسر انتفاضاً يزيل كل عضو منه من موضعه، ثم يعاد فيحاسب، فإن كان محسناً نجا بإحسانه، وإن كان مسيئاً انخرق به ذلك الجسر فهوى به في النار سبعين خريفاً".

قال له عمر : ممن سمعت هذا ؟

قال من أبي ذر، وسلمان، فأرسل إليهما عمر، فسألهما، فقالا : نعم ! سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم،

فقال عمر : واعمراه، من يتولاها بما فيها ؟

فقال أبو ذر : من سلت الله أنفه، وألصق خده بالأرض !!.

فأخذ أبو جعفر المنديل، ويضعه على وجهه ويبكي وينتحب حتى أبكى الأوزاعي.

ثم مضى الأوزاعي يقول ودمعه ينهمر:

يا أمير المؤمنين : قد سأل جدك العباس النبي صلى الله عليه وسلم إمارة على مكة والطائف، فقال له : "يا عباس يا عمّ النبي ! نفس تحييها خير من إمارة لا تحصيها" هي نصيحة منه لعمه وشفقة منه عليه، لأنه لا يغني عنه من الله شيئاً : أوحي الله تعالى إليه ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ .. (الشعراء : ٢١٤) .

فقال : "يا عباس، ياصفية عمة النبي، إني لست أغنى عنكم من الله شيئاً .. ألا لى عملى ولكم عملكم".

وقد قال عمر رضى الله تعالى عنه : لايقيم أمر الناس إلا حصيف العقل، أريب العقدة، لايطلع منه على عورة، ولا يحنو على حوية، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

وقال : السلطان أربعة أمراء : فأمير قوي ظلف نفسه وعماله، فذاك المجاهد في سبيل الله، يد الله باسطة عليه بالرحمة، وأمير ضعيف ظلف نفسه وأرتع عماله فضعف، فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله .. وأمير ظلف عماله وأرتع نفسه فذلك الحطمة الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه : "شر الدعاء الحطمة" فهو الها لك وحده وأمير أرتع نفسه وعماله، فهلكوا جيعاً !!

وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه

وسلم فقال :

أتيتك حين أمر الله عز وجل بمنافيخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة،

فقال له : ياجبريل : صف لي النار ..

فقال : إن الله أمر بها فأوقدت ألف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة لا يضئ لهبها ولا جمرها ، والذي بعثك لو أن ثوباً من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعاً .. ولو أن ذنوباً من شرابها صب على ماء الأرض لقتل من ذاقه، ولو أن ذراعاً من السلسلة التي ذكرها الله تعالى وضع على جبال الأرض لذابت وما استقرت .. ولو أن رجلاً دخل النار ثم أخرج منها لضج أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه .. فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل لبكائه .

وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن عمر بن

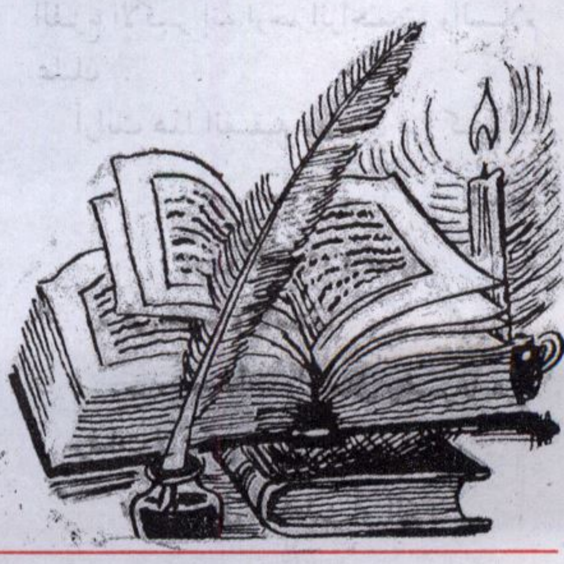

الخطاب قال : اللهم إن كنت تعلم أني أبالى إذا قعد الخصمان بين يدي على من قال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلني طرفة عين .

يا أمير المؤمنين : إن أشد الشدة القيام لله بحقه، وإن أكرم الكرم عند الله التقوى .. إنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله، ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه .

هذه نصيحتي، والسلام عليك ..

ثم نهض، فقال له أبو جعفر: إلى أين ؟

– إلى البلد والوطن بإذن أمير المؤمنين، إن شاء الله .

– قد أذنت وشكرت لك نصيحتك، والله الموفق للخير والمعين عليه. فلا تخلني من مطالعتك إياى بمثلها ، فإنك المقبول غير المتهم في النصيحة .

– أفعل إن شاء الله .

قال محمد بن مصعب :

وأمر أمير المؤمنين للأوزاعي بمال يستعين به على خروجه، فلم يقبله الأوزاعي وقال :

أنا في غنى عنه، وماكنت لأبيع نصيحتي بعَرَض الدنيا كلها .. وعرف المنصور مذهب الأوزاعي فلم يؤلمه أن رد عطاءه ..

هكذا يكشف لك أبو عمرو عن حالة، ويتبدى لك معدنه صريحاً من خلال كلامه.

وإنك لتجد هذا شأنه مع كل من اتصل به، أميراً كان - كما رأيته مع أبي جعفر - أو غير أمير .. استوى الكل أمام ميزانه، وميزانه دائماً واحد لا يختلف، الميزان الحساس الرفيع، الذي لايثقل فيه إلا الحق، والذي لايزن الناس إلا بما يقربهم من الله ويثقل موازينهم يوم يقفون بين يديه ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ .... (الأنبياء : ٤٧) .

إلا ما أرهف هذا الميزان وما أعدله .

إنه ميزان لايقدر عليه إلا الأقلون، سواء منهم في ذلك الوازن والموزون .. الوازن الذي أشرقت صفحة قلبه فلا يرى في الأمر إلا حقيقته، والموزون الذي يجد نفسه دائماً حاضرة بين يديه فيلزمها حكم هذا الميزان !

أن أهل هذا الميزان هم "الأعصاب" التي تشيع الحياة في كل مجتمع الحياة الحقة المشرقة، وهم "الأسلاك" التي يسري فيها النور ..

وليس معنى ذلك أن يتألهوا على الناس، أو أن يحكموا على نواياهم، أو أن لهم أحكاماً غير أحكام الله في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واستمع إن شئت إلى كلمات الأوزاعي في كتابه إلى الحكم بن غيلان :

"وقد أحببت - رحمنا الله وإياك - أن تجعل لمعادك في طرفي نهارك نصيباً، ولا يستفرغنك إيثار غيره، ودع امتحان من اتهمت، وضع أمره على ماقد ظهر لك منه، فإن ستر عنك خلافاً فاحمد الله على عافيته، وإن عرض لك ببدعة فأعرض عن بدعته، ودع من الجدال مايفتن النفس، وينبت الضغينة، ويجفي القلب، ويرق الورع في المنطق والفعل، ولا تكن ممن يمتحن من لقى بالأوابد، وماعسي أن يفترى به أحد، وليكن ماكان منك على سكينة وتواضع تريد به الله، وليعنك ماعنى الصالحين قبلك، فإنه قد أعظمهم ثقل الساعات، فجرت على خدودهم من الخشوع دموعهم، ونضبت من خوف على ظمأ مناهلهم، عناؤهم على أنفسهم وراحتهم على الناس، نسأل الله أن يرزقنا وإياك علماً نافعاً، وخشوعاً يؤمننا به من الفزع الأكبر إنه أرحم الراحمين، والسلام عليك" .

أرايت هذا الفقه الرصين في كتاب

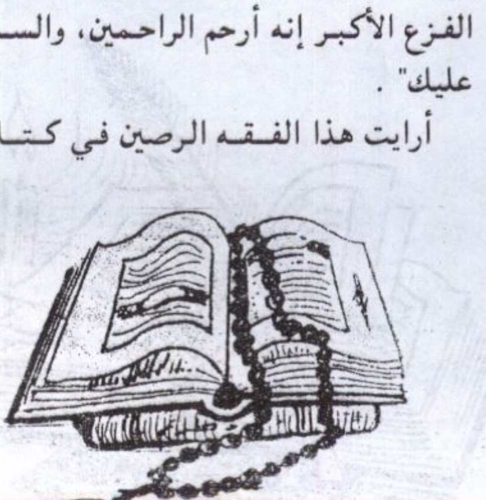

الأوزاعي؟ أرايت كيف دعا صاحبه إلى أن يجعل نهاره في سياج من ذكر الآخرة، وحدد له في التهمة الحدود التي لايجوز تجاوزها إلى اتهام السرائر، وفسر له معنى الجدال بالتي هي أحسن، وأراده أن يلتزم في كل ذلك السكينة التي ميز الله بها قلب المؤمن والتواضع الذي يراد به وجه الله ..

ولكن الجديد في فقه الأوزاعي هو إشراقته التي تلازم كل وصاياه، إشراقته التي أسالت مدامع أبي جعفر، والتي تهدهد قلب سامعها .

هذه الإشراقة هي التي يحتاجها أكثر الفقهاء وطلاب الفقه، لأن الكتب لا تصنعها، ومجرد العلم والحفظ لايقدحانها .. إنما تنقدح من الأعماق .. يقدحها الصدق مع الله .. الصدق مع كل ماتقرأ وتحفظ .. ولعلك تستشف خبر ذلك في أحوال الأوزاعي نفسه حين تقرأ قوله : "من أكثر ذكر الموت كفاه اليسير، ومن علم أن منطقه من عمله قل كلامه" .

ذكر الموت

منطقه من عمله ..

هكذا عاشت نفسه : أحياها ذكر الموت، وهكذا كان منطقه : صدى نفسه الحية، وصورة أخلاقه الرضية ..

واستزد من ذلك - إن شئت - بمثل قوله يخاطب موسى بن أعين :

"يا أبا سعيد كنا نمزح ونضحك، فأما إذا صرنا يقتدى بنا، ماأرى يسعنا التبسم"!

وبمثل ماروى عنه، من أن نصرانياً أهدى إليه جرة من عسل، ثم قال له :

يا أبا عمرو : تكتب لى إلى وإلى بعلبك ؟

فقال له الأوزاعي :

إن شئت رددت الجرة وكتبت لك، وإلا قبلت الجرة ولم أكتب لك .. فرد الجرة وكتب له .

وبمثل قوله : "بلغني أنه ماوعظ رجل قوماً لايريد بوعظه وجه الله إلا زلت عنه القلوب كما زل الماء عن الصفا" .

وبمثل قوله : "ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة على العبد يوم القيامة يوماً فيوماً، وساعة فساعة، ولا تمر به ساعة لم يذكر الله تعالى فيها إلا تقطعت نفسه عليها حسرات، فكيف إذا مرت به ساعة مع ساعة ، ويوم مع يوم، وليلة مع ليلة ؟!..

ومن أجمع ما قرأنا للأوزاعي قوله : "كان يقال : خمس كان عليها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون بإحسان : لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله" .

رضى الله عنه وأرضاه.

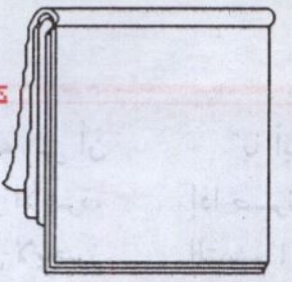

شهريـــــات

رسالة أميركا

العبودية مشكلة إدمان

الذين يقولون إن الدين أفيون الشعوب لم يدركوا أن أشهر الموسوعات الطبية تنص علي أن تعاطي الأفيون في صورته الطبيعية لا يؤدي نفسيا ولا جسديا إلي إدمان وليس له أضرار حسية مباشرة أو جانبية، حتي إن ابن سينا وصفه بأنه أفضل مواد التخدير في العمليات الجراحية، واستخدمه أبو قاسم الزهراوي في الأندلس كمادة تخدير طبيعية حيث إن فاعليته تزول سريعا، دون تأثير غير محمود عقب إفاقة المريض .. كما أنه خير علاج للصداع النصفي وكثير من العلل التي تتسبب في آلام مبرحة .. وأذكر أن كتب التاريخ التي درسناها في المرحلة الابتدائية أشادت بإدخال زراعة الخشخاش في مصر علي أنه من إنجازات محمد علي باشا؛ فإلي جانب أنه يستخدم في المداواة فقد لاقي إقبالا كبيرا من كثير من دول أوروبا وبعض دول آسيا بعد إعداده للاستخدامات الطبية .

د.عبدالفتاح الحسيني

وفي الواقع أن الجسم يفرز إندورفين وهي هرمونات طبيعية تشابه المورفين للتخفيف من الآلام الجسدية. كذلك فإن تعاطي الحشيش الطبيعي لا يغيب عقل حاضر البديهة ولا من لا يريد أن يتغافل عن واقع الحياة ولا المسطول الذي ينسطل من مجرد شم الهواء؛ ولكنه منشط يطمس علي مشاعر المهابة من الأخطار المحدقة بالشخص فيقدم علي أعمال خارقة للعادة دون أن يهاب عواقبها .. بل إن تأثيره هو تأثير هورمونات الأدرينالين التي يفرزها الجسم بغزارة عندما ينفعل الشخص أو يلاقي تحديات أو يتعرض لخطر محدق، فهو من الأسلحة الطبيعية للدفاع عن النفس .. بل إن اندفاع الأدرينالين بغزارة يجعل الشخص قادرا علي احتمال الآلام التي قد تصاحب بعض الأمراض الخبيثة مثل السرطان. ولهذا بدأت بعض الحكومات المحلية في الولايات المتحدة الأمريكية السماح بزراعة الحشيش وبيعه بغرض التداوي متحدية بذلك الحكومة الفدرالية الخاضعة لضغوط شركات إنتاج وبيع الخمور، والتي تخشي كساد بضاعتها إذا وجد المرضي ما يجعلهم قادرين علي تحمل ألم البدن كبديل للمعاناة من العيش في غيبوبة السكر والمعاناة من فقدان الوعي وهلاك الكبد. هذا إلي جانب ضغوط شركات تصنيع الأدوية التي تبيع أقراص فيها حشيش ومواد إضافية تسبب الإدمان وتتسبب في أعراض جانبية أخري خطيرة بأسعار تفوق سعر النبات الطبيعي الأكثر فعالية بمئات الأضعاف .. ولقد اقتبست اللغات اللاتينية والجرمانية كلمة "أساسين" أي الذي يقدم علي عمليات اغتيال جريئة من كلمة الحشاشين .. ومن هذا المنطلق كتب جورج زيدان كتاب صلاح الدين والحشاشين الذي جاء ضمن سلسلة عن التاريخ الإسلامي من صادرات دار الهلال.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية كان السكان الأصليون في القارة الأمريكية يشربون عشب السارسبيلا كالشاي لما له من مفعول ساحر في الاسترخاء وما له من تأثير طيب علي النوم العميق الذي يريح الجسد دون أن يكون له تأثير علي العقل

أو البدن .. وكانت شركات المياه الغازية تضعه في بعض منتجاتها مما أدى إلي إقبال كبير عليها مقارنة بالمشروبات التي تحتوي علي الكافين المنبه. وسرعان ما نجحت شركات الأدوية والخمور في الضغط علي الحكومة الفدرالية بإصدار قانون يمنع استخدام الساربيلا في المشروبات، دون إبداء أسباب .. وهناك دول تحرم تداول جوزة الطيب، وتوالي الولايات المتحدة الأمريكية ضغوطها علي تركيا لتحريم زراعة حبة البركة .. ولن يمر وقت طويل حتى تحرم الحكومات البردقوش والمرمرية والشيح، لأنها قد تغني عن تناول كأس نبيذ قبل النوم .. هذا بينما تعاطي المخدرات الصناعية من الهراويين والمخدرات المستحضرة كيمائيا سواء كانت من نباتات طبيعية مثل الأفيون والحشيش، أم كانت توليفيات كيمائية صناعية بحتة بما في ذلك أدوية الاسترخاء والنوم ومعالجة الاكتئاب والانقباض كلها لا تؤدي إلي الإدمان فحسب بل إلي التدهور الصحي والنفسي وربما الموت. كذلك فإن العنب والتمر والشعير من النعم التي من الله بها علي الخلق لما فيها من فوائد صحية لا تحصى ولا تعد سواء أكلت كما هي أو تحولت إلي عصير ولكن تخميرها وإضافة مواد كيمائية حافظة لها مثل الفورمالهيد الذي تحفظ به جثث الموتي لتصبح خمورا يتعاطاها الناس بغية الاستمتاع بغيبوبة الفكر والتدبر والتغلب علي حواجز الحياء والرهبة من مواجهة المشاكل تؤدي بشاربها إلي الإدمان البدني والنفسي وقد تودي به إلي مهالك أقلها تهرؤ الكيد والموت السريري .

الدين أفيون الشعوب

عندما وصف ماركس وإنجلز الدين بأنه أفيون الشعوب لم يكن القصد هو الحط من شأن الدين عموما فلقد كان ماركس يهوديا متعصبا لديانته وإن احتقر المسيحية وجميع الأديان الأخري. ثم إن كلاهما عاشا فترة كان الأفيون فيها هي الوسيلة المتاحة للتخدير، ولا يعتبر ضمن قائمة المخدرات التي يبغضها الناس .. بل إنهما أدركا خطورة الدين في مواجهة أفكارهما التي أرادا لها أن تنتشر كدين ابتكراه لاسترقاق الأميين (الجويليم) من غير اليهود بقوة البطش الغوغائية حتى يدمنوا الذل والخنوع .

أما مقولة إن الله غير موجود فهي جزء من العقيدة اليهودية التلمودية حيث إنهم يؤمنون بأن بني إسرائيل سألوا موسي أن يرو الله، كما جاء في القرآن الكريم : ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم

تشكرون﴾ .. (البقرة : ٥٥ - ٥٦)؛ لكنهم لا يؤمنون بأن اليهود ماتوا وهم ينظرون بل يؤكدون أن الله هو الذي تفتت إلي ذرات صغيرة تناثرت في الفضاء عندما أطل عليهم، ومن هنا جاء الاصطلاح الشائع في الدول الغربية والذي يروجه اليهود ويردده بعض المسيحيين بأن "الله ميت"؛ سبحانه، ولن يجتمع له شمل حتي يجتمع شمل بني إسرائيل في فلسطين .

ولا مراء في أن تأثير الدين الإسلامي علي المؤمن هو أنه يخفف الآلام البدنية، حتي إن واحدا من السلف الصالح رفض أي تخدير في عملية بتر وفضل أن تجري له العملية وهو خاشع في الصلاة .. كما أن التدين يريح النفس من أوجاعها دون أن يغيب الإنسان عن عقله سائر عمره ويتدهور حاله، وهو علاج فطري لعلل النفس وفيه راحة للبدن ووقاية مما قد يلم به من مخاطر الانغماس في الملذات واتباع الشهوات .. كذلك فإن المؤمن حليم في معاملاته مع من يسيئ إليه، صبور علي الأذي والحرمان من ملذات الحياة، ولديه القدرة علي احتمال النوائب والشدائد؛ لا رضوخا لمخلوق ولا تسليما وهبوط همة .. ومع ذلك فهو شجاع لا يقبل الدنية في دينه أو دنياه، غيور علي عرضه، لا يستسلم لطاغية أو متجبر، يبذل ماله ودمه عن رضاء في الدفاع عن دينه، لا يخشي غير ربه، يقظ الفؤاد سواء كان مكتمل الصحوة أو ناعسا أو غائب الوعي.

بالمقابل فإن أصحاب الأديان السماوية الذين يسلمون إرادتهم لمخلوق يجلونه ويعظمونه ويتبعونه، فاقدي الوعي، غائبة عقولهم، عمي أبصارهم، صم بكم وأفئدتهم هواء؛ فلن يغني عنهم تدينهم .. ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ .. (التوبة : ٣١) .

أما أخطر أنواع الأديان فهي البلشفية والشيوعية والفوضوية والاشتراكية والرأسمالية والمركانتيلية والفاشية والوجودية والنازية والسامية والعلمانية والكاهونيتية والغوغائية والقومية والمش عارف إيه هيه التي صنعها بشر حتي صارت تنسب إلي مؤسسيها، مثل الماركسية واللينينية والتروسكية والسارترية والكينيسية والويبرية والتحررية الجديدة والأتاتوركية والناصرية .. كل منتجي تلك المذاهب أشخاص غابرون هلكوا وقبروا حيث أكل الدود عقولهم بما فيها من أفكار وهلوسة بعد أن استكبروا وطغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، حيث استعبدوا الناس واسترقوهم

وتنكروا لوجود الشعوب وسخروا من إرادة الجماهير وحقوقها .. كل تلك النظم الفاشلة ﴿كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا﴾ .. (النحل : ٩٢)، لم تنجح في التطبيق ولم يتقبلها المنطق السليم. ورغم أن من رواد تلك الحركات الاصطناعية لينين الذي مات نتيجة مرحلة متأخرة من الزهري وأتاتورك الذي قضي عليه معاقرة الخمر، ومنهم من انتهت مهمته في أعمال القتل والنهب فانقض عليه من سخره ليكون طاغية علي خلق الله ليمحو آثار الجريمة، جريمة العبيد الذين جلد زبانية الزعيم ظهورهم بسياط بها نتوءات صلبة حتي نزفت بالدم والصديد، والذين هتك خصي الزعيم أعراض نسائهم وبناتهم، والذين هدم مهندسو الزعيم البيوت المتهالكة علي رءوسهم، والذين نهبت مافيا الزعيم أموالهم وتاجرت في ملكياتهم وأبنائهم وهربت كل ما خف حمله وثقل ثمنه. ومع كل ذلك فالعبيد منصاعون كعادتهم عاكفون علي أصنام الزعماء السفاحين يسبحون بحمدهم أطراف النهار وكأن الحياة ستدب من جديد في جلاديهم ونخاسيهم بعد أن تحولت جثامينهم النجسة إلي ركام نتن.

مشاهد الخوف والذعر التي تسيطر علي العبيد من زعماء بعد موتهم تذكر بقصة الجن مع سليمان عليه السلام؛ ﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾ .. (سبأ : ١٤) ؛ مع الفارق في أن البشر من أتباع الأديان الوضعية استمرءوا الرق، ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾ .. (البقرة: ١٠٢) .

استمراء الرق

الذي يقرأ عن تاريخ الرق في الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة قيام الرئيس إبراهام لنكولن بتحرير العبيد مما أدي لاشتعال حرب أهلية زهقت فيها الآلاف من الأرواح لا يتملك نفسه من التعجب من الطبيعة البشرية، إذ إن المنطقي أن يدعم العبيد السود قوات الشمال التي كانت تحارب أهل الجنوب لتحريرهم من عمل السخرة في المزارع الشاسعة .. خاصة أن من بينهم من كان دائم الشكوي من الامتهان وسوء المعاملة .. لكن الواقع لم يكن قريبا من ذلك علي أقل تقدير فلقد انضم السود إلي من استرقوهم فكانوا يقومون بحراسة ضياعهم خلال ذهابهم إلي جبهة القتال بلا مقابل وعملوا جواسيس لسادتهم البيض ومنهم من شارك في القتال مع الحفاظ علي تقاليد

التفرقة بين السيد والعبد، وهي تقاليد كانت مقدسة لدى البيض وحدا فاصلا بالنسبة للسود الذي يتجاوزه منهم يعرض نفسه للجلد إن لم يكن للقتل .

وعندما وضعت الحرب أوزارها وتم الصلح بين البيض خرج العبيد باحثين عن حياة في أماكن مهجورة بعد أن تخلى الرجل الأبيض عن رعايتهم. لكن لم يكن في طوق البيض القيام بالأعمال الشاقة التي كان لا يصلح لها سوي العبيد، فقام أهل الجنوب بإجبارهم علي العمل مقابل فضلات الطعام التي تتبقي من موائدهم دون توفير المأوي الذي كانوا يوفرونه أيام كان الرق مشروعا .. ولاحقوا من حاول من السود البحث عن معيشة مستقلة عن الرجل الأبيض، ولم يكن أمام من آثر الرحيل من السود سوى العودة للعبودية دون مميزات العبودية أو القتل إذ إن البيض عاملوا الهاربين معاملة العبد الآبق رغم أن القانون جعل من استرقاق الناس جريمة كبرى .

وأغرب ما في الأمر أنه بعد مرور أكثر من قرن ونصف علي انتهاء الحرب الأهلية وتحرير العبيد ما زال السود يتوادون مع العائلات التي كانت تسترقهم خاصة أن أسماء عائلات السود هي اسم العائلات التي كانوا عبيدا لديها .. وليس هذا فحسب بل إن العبيد المحررين يساعدونهم في الأعمال الشاقة دون مقابل والبيض يعتبرون ذلك حقا اكتسبوه ولن يسقط للأبد. والأغرب من ذلك أن أعضاء الكونجرس السود يكمنون وراء كل القوانين التي تجحف بحقوق بني جلدتهم .. وأكثر من يتعرض له السود من اضطهاد وتعدٍ علي حقوقهم يأتيهم من بني جلدتهم من الشرطة .. بل إن الأسود تعس الحظ إذا ارتكب مخالفة قانونية، وقيض له محلفون من السود، ومدعي عام أسود فمصيره الحكم بالإعدام حتى لو كان الحد الأقصي من العقوبة علي ما ارتكبه غرامة مالية لا تتعدى مئات الدولارات .

وبانتخاب رئيس أسود أمكن إبادة العديد من القوانين التي تضمن للسود حقوقهم المدنية، وهذا أمر لم يجسر الرئيس بوش أو الرئيس كلينتون علي القيام به .. والذي يسمع أوباما يتكلم عن عائلته وحبه لعائلته لا يسمعه يتكلم عن والده الأسود ولكنه يحصر كلامه في أمه البيضاء وجدوده البيض .

واستمراء العبودية لدى سود أمريكا جاء بالترويض عبر زمن طويل قام فيه النخاسة بتعذيبهم وإذلالهم وامتهان آدميتهم .. فلقد كان بين الرعيل الأول من الأفارقة الذين اختطفهم القراصنة الهولنديون من قراهم ومدنهم أمراء وأشراف وأبناء سلاطين وملوك وفرسان

ومحاربون شجعان أعزاء آمنون في أوطانهم .. لهذا قاوموا الرضوخ والاستسلام ببسالة راح ضحيتها الكثير، كما جاء في كتاب أليكس هيلي "جذور، أسطورة عائلة أمريكية" الذي عرضت قصته علي التلفزيون الأمريكي في مسلسل قصير حصل علي تسع جوائز إيمي وجائزة جولدن جلوب وجائزة بيبودي وكان المسلسل أكثر البرامج مشاهدة في تاريخ التلفيزيون وفق تقييم نيلسن .

وتكملة لترويض العبيد الجدد قام المحتلون من إنجليز وفرنسيين باختراع مسيحية جديدة للعبيد أجبروهم علي اعتناقها بحيث يمكن لهم فيها ممارسة بعض ما ورثوه من شعائر والحفاظ علي ما توارثوه عن آبائهم من عادات وتقاليد، مع منعهم من دخول كنائس الأسياد، وحاول اليهود احتواء بعضهم، ولكن عزوفهم عن الجانبين اضطر سادتهم أن يخترعوا لهم إسلاما خاصا بهم بعد أن أدخلوا عليه من خرافات فلاذوا إليه بغزارة كبديل للإسلام الذي دان به سلفهم .. وبالتدريج استسلم الظالمو أنفسهم لمصيرهم حتي الذين أصروا علي الرجوع إلي أفريقيا وتأسيس دولة ليبريا نقلوا معهم العبودية التي ألفوها وتعالى بعضهم علي بعض وعاشوا حياة تتجلى فيها كل مظاهر الرق والتبعية التامة لبلاد سادتهم .

إدمان بني إسرائيل علي الرق

لم يلق موسي وهارون عليهما السلام عنتا من فرعون وملئه الذين كانوا يستحيون نساء بني إسرائيل ويقتلون أبناءهم ويسومونهم سوء العذاب مثلما لقيا من عنت قومهما عندما أرادا أن يحرراهم من الرق عندما أمر الله تعالي موسي عليه السلام ﴿ فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون﴾ .. (الدخان : ٢٣) فمنهم من أخلد إلي الأرض وآثر عمل السخرة والمهانة والأذي التي تئن منه أحاسيسه وتشتكي منها جوارحه علي أن يتبع رسول ربه إلي المجهول؛ بل إن منهم من تعلق قلبه بقارون الذي كان واحدا منهم، ظانا أنه لو أجاد العبودية لسادته لأوتي ﴿ مثل ما أوتي قارون﴾ .. (القصص: ٧٩)، ولم يتحول بعضهم عن أمنياته حتي بعد هلاك قارون .. ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين، وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ .. (القصص : ٨١ - ٨٢) .

أغرق الله فرعون ومن معه من جند وعتاد وأسبغ علي بني إسرائيل نعمة التحرر من الرق وتيسرت لهم الأحوال ولم

يعد عليهم سوي الهجوع إلي ركن يأويهم يجمعون فيه قواهم ويستردون عافيتهم استعدادا لدخول الأرض المقدسة التي يقودهم إليها موسي عليه السلام .. وما من صاحب فطرة سليمة إلا وتنفس الصعداء وشكر الله أن أزاح عن كاهله أغلال العبودية، حيث إنه لم يخلف من ورائه سوى أثمال بالية وجحور مظلمة وأيام حافلة بالكد والنصب تحت وطأة سياط من استرقوه وساعات قنوط ويأس من الخلاص .. وما من صاحب فطرة سليمة إلا امتلأ قلبه باليقين بأيام مشرقة ينعم فيها بالعزة والكرامة لنفسه وأولاده الذين لم يعد يخشى علي رقابهم من ضربة سكين، ولا علي امرأته وبناته من اعتداء غاشم علي عرض .. غير أن فيهم من استمرأ العبودية وسلم بأنها منهج حياة وتقرب من سادته زلفي فأنعموا عليه بالسماح له بلعق نعالهم ونصبوه علي قومه نخاسا وقوادا وجاسوسا، وكان من عامة الناس من يرى أن في أفعال من هم علي شاكلته من مداهنة وخنوع ما هي إلا حكمة وفطنة ومواراة، بل حسدهم البعض علي قدرتهم علي التقرب إلي السادة الذين لا يجسر سائر العبيد علي رفع النظر إليهم وعلي ما حظوا به من منزلة النخبة المتميزة بينهم، والتي يستمع إليها الكل بإصغاء ويتتبع تحليلها لما يجري من أحداث. وصدق الله تعالي : ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون﴾ .. (البقرة : ١٤) .

تلك الطغمة المنتفعة من أيام الهوان ألفوا قومهم ينفضون عنهم ويعلقون آمالهم بأمان وسؤدد يعدهم به موسي عليه السلام وإلهه وألقوا نظرة علي الأيام الخوالي وما كانوا عليه من تميز بين أقرانهم وجلاديهم فعضوا نواجذهم من الغيظ علي ما فات وفكروا وأبطنوا أن يصرفوا قومهم عن موسي عليه السلام .. ﴿إنه فكر وقدر، فقتل كيف قدر، ثم قتل كيف قدر، ثم نظر، ثم عبس وبسر، ثم أدبر واستكبر، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر، إن هذا إلا قول البشر﴾ .. (المدثر : ١٨ - ٢٥) .

وقامت النخبة بتأويل أحداث الماضي بنية جذب انتباه قومهم إليهم فقاموا بتفسير الأحداث وفق ما أملاه عليهم هواهم فأعادوا علي مسامع قومهم ما قيل ﴿ قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم، يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون﴾ .. (الأعراف : ١٠٩- ١١٠) وفسروا لهم قول الملأ من قوم فرعون علي أنه تحذير لبني اسرائيل من سحر موسي الذي بيت مكيدة إخراجهم من أرضهم في مصر، وقيادتهم إلي أرض غريبة ليتخلص

منهم. وكنخبة مثقفة علي دراية بما يدور في الدنيا أدخلوا في روع ضعاف النفوس من قومهم أن سبب العز والترف الذي كان يتمتع به النخاسة وسادة القوم هو أنهم كانوا يعبدون آلهة يرونها ويلمسونها متمثلة لهم علي أرض الواقع يقدمون لها القرابين بينما تردي أحوال بني إسرائيل وما هم فيه من رق إنما هو نتاج تخلفهم العقلي واتباعهم لأنبياء يسحرونهم بمعسول الوعود وعبادتهم لإله غيبي ليس له صنم يتقربون إليه .. قال تعالي : ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة﴾ .. (الأعراف : ١٣٨) .

ولم يكتف من يوجهون الرأي العام بالدعوة لتقليد الأمم الأخري بما هم عليه من غي بل أرادوا إثبات أن إله موسي ما هو إلا وهم. قال تعالي : ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم﴾ .. (النساء : ١٥٣) .

وما إن استقر المقام ببني إسرائيل وتوفر لهم من الطعام أطيبه ومن الماء أعذبه دون جهد أو كد أو نصب حتى زين لهم شياطين الإنس من النخبة التي كانت تغبن كل نعمة حقها، وذكروا العامة من قومهم بحلاوة أيام الرق التي كانوا يساقون فيها كالبهائم يتصببون عرقا من قيظ الحر بينما ينعم فيه سادتهم بالنوم في ظل قصورهم وجنانهم، ويذكرونهم بحلاوة فحل البصل وطبق الفول المدمس والبصارة، فيسيل لعابهم علي ما كان السادة يمنون به عليهم من فضلات موائدهم الشهية .. ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ .. (البقرة : ٦١) .

وبالطبع لم يكد موسي عليه السلام أن يغيب عنهم حتى استغلوا حلم هارون عليه السلام وإحجامه عن التصدي للمهرجين والمرجفين والنخب المسيطرة علي عقول البسطاء خوفا من شق صف بني إسرائيل .. ﴿قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي﴾ .. (طه : ٩٤) .. وقد كان هارون عليه السلام تولي خلافة قومه في المرحلة الانتقالية بين ذهاب موسي عليه السلام لتلقي الألواح

التي عليها شريعة الله وعودته والتي زادت بمشيئة الله عشرة أيام؛ ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾ .. (الأعراف : ١٤٢)

.. هناك وجد السامري ورفقاؤه من النخبة الفرصة سانحة للتآمر علي العامة من الخلق والعبث بعقولهم .. وقد استغل بعضهم القرب من سادتهم فنهبوا حليهم قبل الخروج من مصر ليجسدوا إلها لبني إسرائيل تأسيا بأصحاب الحضارات الوثنية القائمة والبالية التي كانت أكثر منهم تقدما صناعيا وثروة مالية. واعتذروا لموسي عليه السلام عند عودته، وألقوا اللوم علي السامري وكل ما قصدوا هو التخلص من أوزار ما اختلسوه من زينة القوم الذين ائتمنوهم : ﴿ قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري، فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي ﴾ .. (طه : ٨٧ - ٨٨) . وبالطبع كان يمكن صهر العجل والاستفادة من المواد الثمينة التي استخدمت في تصنيعه؛ لكن ما استخدم في صناعة الحرام ثروة مسلوبة من أصحابها، مما يجعلها حراما ختي لو كان المسلوب من أعداء الله .. ﴿ قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا، إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما ﴾

.... (سورة طه : ٩٧ - ٩٨) .

إدمان المغلوب علي أمره للرق

من يقرأ قول الله تعالي : ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ﴾ .. (النساء : ٩٧)، قد يعجب لأول وهلة كيف يكون مصير المظلوم في الآخرة كمصير الذي أوقع به الظلم، وإن تفاوتت درجاتهم في جهنم كما تفاوتت منازلهم في الدنيا فالظالم الذي يدهس رأس المظلوم بنعله في الدنيا مصيره الدرك الأسفل من النار يعلوه كل من أوقع بهم الظلم فاستمرءوه ولم يحاولوا الفلات من دهس نعال الظالمين .. ولعل المثل السائر :

"قالوا لفرعون مين فرعنك؟ قال: ما لقيت حد يردني" يوضح جرم المستضعف ودوره في حلقة المظالم. فأولئك يخشون الناس أكثر مما يخشون الله. ﴿إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون﴾ .. (البقرة: ١٥٠)؛ ﴿إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية﴾ .. (النساء: ٧٧)؛ ﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ .. (المائدة: ٣).

هذا لأن الإنسان بفطرته التي جبل عليها يندفع إلي الدفاع عن ذاته بغريزة حب البقاء أي الحفاظ علي حياته، وإذا ملك نخوة وشهامة فقد لا يتوان أن يضحي بنفسه ليحمي عرضه وعياله .. وفي الحديث الشريف: "من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد" .. لهذا استثني الله ممن ستتلقفهم جهنم من المظلومين من لا حول له ولا طائلة؛ {إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا﴾ .. (النساء: ٩٨ - ٩٩) .. وأعطي مخرجا للجميع من قوي وضعيف يضمن لهم الثواب علي ما تعرضوا له من مظالم؛ ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما﴾ .. (النساء: ١٠٠) .. فالموت في الغربة شهادة، قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: "موت الرجل في الغربة شهادة، وإذا احتضر فرمى ببصره عن يمينه وعن يساره فلم ير إلا غريبا وذكر أهله وولده وتنفس فله بكل نفس يتنفسه به أن يمحو الله له ألفي ألف سيئة ويكتب له ألفي ألف حسنة ويطبع بطابع الشهداء".

وبالطبع فإن أخطر الذين يتحملون المظالم دون مضض هم الذين يستسلمون لمشيئة الظالم فيتحولون إلي لبنة هينة لينة يسهل عليه تشكيلها وفق إرادته؛ ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون، فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين﴾ .. (النحل: ٢٨ - ٢٩) .. هذا الاستسلام يغرس فيهم من الخنوع ما يجعلهم يلبون إرادته ويقدسون كلماته ويرددون أكاذيبه إيمانا بها، ولا يستنكرون أيا من مفاسده حتى بقلوبهم. وعندئذ لا عذر لظالم أو مظلوم، فالكل في الإثم

سواء بل إن المظلوم قد يكون أداة لترويج الإشاعات والأكاذيب التي يريد الظالم ترويجها، ورغم خنوعهم لأسيادهم فإن من أسواء خصالهم التكبر علي من دونهم .. يكتب عبد الرحمن الكواكبي في كتابه طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد :

"الحكومة المستبدة تكون طبعا مستبدة في كل فروعها من المستبد الأعظم، إلى الشرطي، إلى الفراش، إلى كناس الشوارع، ولا يكون كل صنف إلا من أسفل أهل طبقته أخلاقا، لأن الأسافل لا يهمهم طبعا الكرامة وحسن السمعة، إنما غاية مسعاهم أن يبرهنوا لمخدومهم بأنهم على شاكلته، وأنصار لدولته، وشرهون لأكل السقطات من أي كانت ولو بشرا أم

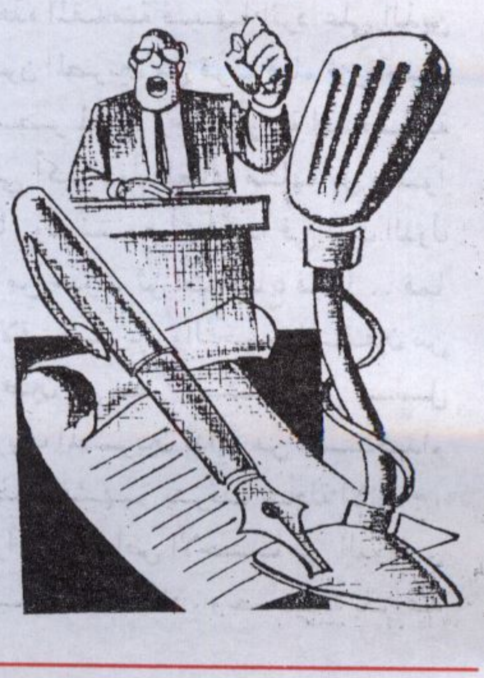

خنازير، من آبائهم أم أعدائهم، وبهذا يأمنهم المستبد ويأمنونه فيشاركهم ويشاركونه" .

ويضيف : "العوام هم قوّة المستبد وقوته .. بهم عليهم يصول ويطول؛ يأسرهم، فيتهللون لشوكته؛ ويغصب أموالهم، فيحمدونه على إبقائه حياتهم؛ ويهينهم فيثنون على رفعته؛ ويغري بعضهم على بعض، فيفتخرون بسياسته؛ وإذا أسرف في أموالهم، يقولون كريم؛ وإذا قتل منهم ولم يمثل، يعتبرونه رحيما؛ ويسوقهم إلى خطر الموت، فيطيعونه حذر التوبيخ؛ وإن نقم عليه منهم بعض الأباة قاتلهم كأنهم بغاة .. والحاصل أن العوام يذبحون أنفسهم بأيديهم بسبب الخوف الناشئ عن الجهل والغباوة" .

ويوم القيامة كل يلوم الآخر علي ما اقترفت يداه .. ﴿قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون، وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾ .. (الأعراف : ٣٨ - ٣٩) .

د. عبد الفتاح الحسيني

الولايات المتحدة الأمريكية

الأزمات الاقتصادية وثورة الجياع

ليس من المبالغة القول بأن معظم دول العالم تعاني من أزمات اقتصادية تفوق الأزمة الاقتصادية المصرية بمراحل، فالولايات المتحدة الأمريكية أقوى وأغنى دولة في العالم تعاني من أزمة اقتصادية حقيقية نتيجة تجاوز ديونها ١٦ تريليون دولار، هذا الحجم الهائل من الديون جعلها أكبر دولة مدينة في العالم وأوصلها إلى حافة الهاوية المالية التي تم الإعلان عن تداركها في الوقت الضائع بالاتفاق بين الرئيس الديمقراطي باراك أوباما ورئيس الكونجرس الجمهوري جون بينر لتفادي الخطر المحدق بالاقتصاد الأمريكي.

حقيقة الأمر أنه تم تأجيل الخطر لمدة شهرين لحين التوصل إلى اتفاق نهائي بشأن الاختيار بين خطة تقشف مؤلمة تُعرض الاقتصاد الأمريكي للانكماش والركود وبالتالي انخفاض في مستوى الخدمات الاجتماعية المقدمة لمتوسطي الدخول، وبين السماح للحكومة بمزيد من الاقتراض وما ينطوي عليه ذلك من مخاطر سقوط الاقتصاد الأميركي العملاق فيما سقط فيه الاقتصاد اليوناني والاقتصادات الأوروبية المهددة بإعلان الإفلاس كالاقتصاد الإسباني والبرتغالي بالإضافة إلى الاقتصاد الإيطالي.

ثورة الجياع

هذه المقدمة فيها الرد على الذين يفزعون المصريين من قرب قيام ثورة جياع في مصر لمجرد وجود أزمة اقتصادية تعاني أكبر دول العالم مثلها بل وأسوأ منها، ولم نسمع أن أحداً في تلك الدول حذر من حدوث ثورات جياع فيها .. فما بال الاقتصاديين والنخبة والمثقفين من المعارضين في مصر يستمرون في مسلسل تخويف المصريين بداية من استخدام المصطلح الشهير بتوقف عجلة الإنتاج، مروراً بانخفاض الاحتياطي الدولاري وانهيار الاقتصاد، وتصعيداً بفزاعة

الإفلاس، وأخيراً وليس آخراً التحذير من ثورة الجياع .

لم يثبت في التاريخ القديم أو الحديث أن الشعب المصري قام بثورة جياع في وقت الثورات أو الحروب أو الأزمات الاقتصادية التي مرت به حتى وإن عاني الفقر وأعوزته الحاجة، وعلى العكس من ذلك فإن مصر فيها خزائن الأرض بشهادة ربنا عز وجل لقول نبي الله يوسف عليه السلام : ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ .. (يوسف : ٥٥) .

قال الجاحظ : "إن أهل مصر يستغنون عن كل بلد حتى لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور، لغنيَ أهلها بما فيها عن سائر بلاد الدنيا" .

مصر مضرب الأمثال على مر العصور في نجدة وغوث غيرها من البلدان وقت المجاعات، ففي عام الرمادة أصاب المسلمين قحطٌ أكل الأخضر واليابس فكتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسالة إلى واليه على مصر عمرو ابن العاص رضي الله عنه جاء فيها :

"بسم الله الرحمن الرحيم من عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص أما بعد أفتراني هالكاً ومن قبلي وتعيش أنت ومن قبلك ؟ فيا غوثاه يا غوثاه ياغوثاه والسلام" .

عمرو بن العاص رد برسالة جاء فيها :

"بسم الله الرحمن الرحيم إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سلام عليك أما بعد أتاك الغوث فلبيك لبيك لقد أرسلت إليك بعير أولها عندك وآخرها عندي "، فما كان من المصريين إلا أن جادوا بأموالهم، وبذلوا الطعام وحملوا الجمال وذهبت القافلة تزحف كالسيل تحمل الخير والرزق والعطاء، وحفظ التاريخ لمصر فضلها .

الإحصاءات لا تقدم صورة كاملة لفهم مشكلة الفقر

الاقتصاديون والسياسيون يتعاملون مع الفقر والجوع من خلال التقارير المحلية والعالمية التي تعتمد في فهمها للظواهر الاقتصادية والاجتماعية على إحصاءات ومعايير رقمية محددة وجامدة، ووفقاً لمعايير البنك الدولي والأمم المتحدة، فإن الفقير هو الذي يملك أقل من ١,٢٥ دولار يومياً، والمؤشر العالمي للجوع يستخدم ثلاثة معايير رقمية هي : نقص التغذية وتعني عدم الحصول على عدد من السعرات الحرارية يومياً، وزيادة معدلات وفيات الأطفال، وبيانات نقص الوزن لدى الأطفال .

"الإحصاءات لا تعطي صورة كاملة تساعد على فهم مشكلة الفقر ولكن الأرقام المروعة تشير إلى وجود انتهاكات عامة واسعة النطاق للإعلان العالمي لحقوق

الإنسان" هكذا يشير بيان اللجنة المعنية بحقوق الإنسان الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المقدم لمؤتمر الأمم المتحدة، البيان يعلن أن العالم لا يستطيع من خلال الإحصاءات والأرقام فهم الظواهر الاقتصادية والاجتماعية بصورة كاملة، وبالتالي هو غير قادر على تقديم الحلول المناسبة لها .

توصيف الظواهر الاقتصادية والاجتماعية

الاقتصاد الإسلامي قادر على تقديم فهم وتوصيف للظواهر الاقتصادية والاجتماعية بصورة صحيحة ودقيقة، كما يمكنه تقديم أسباب هذه الظواهر، ووسائل الوقاية منها قبل حدوثها، ووسائل علاجها عند حدوثها، وذلك استناداً على المعلومات التي يستنبطها علماء الاقتصاد الإسلامي من نصوص الآيات التي أنزلها الله العليم الخبير في القرآن الكريم كما جاء في قوله تعالى :

﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ .. (الملك ١٤)، ومن نصوص الأحاديث النبوية التي نطق بها المعصوم صلى الله عليه وسلم الذي قال عنه الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ .. (النجم : ٣- ٤) .

فبينما المؤسسات والهيئات العالمية تحدد أن الفقير هو من يملك أقل من ١,٢٥ دولار يومياً، فإن الاقتصاد الإسلامي يعتمد التوصيف الفقهي للفقير بأنه المحتاج الذي لا يجد كفايته ومن يعول من الحاجات الأصلية من مطعم وملبس ومسكن ووسيلة مواصلات وسائر ما لابد منه، والدخل الذي يجب أن يحصل عليه الفقير يقدر بما يحقق كفايتة ومن يعول من غير إسراف ولا تقتير، مع مراعاة الظروف التي يعيشها المجتمع على المستوى العام سعة وضيقاً، يقول الماوردي في الأحكام السلطانية : "تقدير العطاء مرتبط بالكفاية" .

متلازمة الجوع والخوف

باديء ذي بدء : إن أعظم نعمتين يمن الله بهما على الإنسان هما نعمة الشبع ونعمة الأمن، قال تعالى :

﴿ لإِيلافِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ "سورة قريش" : وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ .. (النحل : ١١٢) .

الجوع والخوف من سنن الابتلاء

والإختبار الإلهي للعباد ليعلم الله الصابرين من الجزعين كما قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ .. (البقرة : ١٥٥)، ومن رحمته سبحانه وتعالى بعباده أنه ابتلاهم بشئ قليل لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله أو الجوع كله لهلكوا .. ومن الابتلاء أيضاً النقص من الأموال والأنفس والثمرات، وهذا يشمل جميع النقص الناشئ عن أسباب سماوية كالسيول والزلازل والقحط وغيرها، أو عن أسباب بشرية من فعل الظلمة والمفسدين والمجرمين .

وسائل الوقاية والعلاج

أ- الأخذ بالأسباب الإيمانية : يجب تعليم الناس أن الرزق من الله، وأن الإنسان مكلف بالعمل وبذل الجهد لرفع الفقر عن نفسه ومن يعول، وأن الله يغني من يشاء ويفقر من يشاء بحكمته قال تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴾ .. (الإسراء ٣٠) .

وللوقاية من الفقر والجوع والخوف علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم الاستعاذة بالله من الفقر بقوله : "اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر" رواه النسائي، والاستعاذة بالله من الجوع بقول : "اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع" رواه ابن ماجة، والاستعاذة بالله من الخوف بقول : " اللهم آمن روعاتي" رواه ابن ماجة .

وللعلاج من تلك الظواهر عند حدوثها أخبرنا الله عز وجل بالأسباب الإيمانية التي تدفع تلك المصائب، وهي التضرع إلى الله والعمل الصالح والاستغفار كما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ " الأنعام ٤٣، وقوله تعالى : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً ﴾ .. (نوح : ١٠-١٢) .

ب- اتباع الوسائل الشرعية والعلمية والعملية : العليم الخبير الذي بين أهمية الأخذ بالأسباب الإيمانية للوقاية من الفقر والجوع وعلاجهما، قرر فرائض مالية للعلاج كالزكاة والوقف والتكافل والصدقات وكفالة الأيتام، وأنزل أحكاماً شرعية تحرم الربا والقمار والاحتكار والغش .

وبين أهمية الاعتماد على الأساليب العلمية في حل المشاكل الحياتية ففي قصة ذو القرنين قال تعالى : ﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ

انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ .. (الكهف : ٩٦ - ٩٧)، لقد وجه ذو القرنين الثروة البشرية إلى استخدام الموارد المادية بطريقة علمية وفق خطوات محددة لتنفيذ مشروع السد من سبائك الحديد والنحاس أو القطران .

ولأن التخطيط الاستراتيجي طويل الأجل، والعمل الجاد لزيادة الإنتاج هو الأساس في حل المشاكل الاقتصادية - ذكر الله لنا نموذجاً تطبيقياً في قصة سيدنا يوسف حيث قال تعالى : ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ .. (يوسف : ٤٧-٤٩) .

حقائق يجب إدراكها

الفساد السياسي، وسوء توزيع الثروة والدخل بين المواطنين، وسوء إدارة الموارد المتاحة على مدار ثلاثين عاماً مضت هي السبب في ارتفاع نسبة الفقر في مصر إلى ٤٠٪.

مصر التي حفظ التاريخ فضلها غير معرضة لثورة جياع بإذن الله لأن الوازع الديني المرتفع لدى الشعب المصري يمنعه من الاعتداء على الأرواح والممتلكات العامة والخاصة، وأن المصريين مسالمون بطبيعتهم ويتراحمون فيما بينهم بعيداً عن الدولة . ويكفي معرفة أن عدد الجمعيات الخيرية يصل إلى ٢٢ ألف جمعية وفقاً لتصريحات مسئولين بوزارة التضامن الاجتماعي، وأن ١٥,٨ مليون أسرة مصرية تشارك في الأعمال الخيرية تقدر مساهماتهم المالية في العطاء الاجتماعي بنحو ١٨ مليار جنيه سنوياً، طبقاً لما جاء بتقرير مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء المصري .

كل دول العالم تتعرض لأزمات اقتصادية، والفقر ليس عيباً، ولكن العيب هو رفض المعارضة للحوار والتفاهم مع الرئيس المنتخب للوصول إلى خطة لحل المشاكل الاقتصادية التي يعانيها المواطنون بدعوى الاعتراض السياسي، ومن غير المقبول إعلاء المصالح الحزبية الضيقة على مصلحة الوطن، ومن العار أن البعض يصور المصريين على أنهم شعب من الجياع لتحقيق مكاسب سياسية، ومن الخطأ والخطر تقديم تبرير سياسي أو اقتصادي لأعمال الإجرام والبلطجة والتخريب والنهب والحرق وإظهارها على أنها أعمال ثورية .

عبد الفتاح محمد صلاح
مؤسس موقع الاقتصاد العادل

أ.د. حلمي القاعود

لمحة

قميص عبد الناصر !!

تأثرت للغاية لوفاة أحد الصحفيين الناصريين فجأة ؛ وهو يناقش شخصا آخر حول مذابح بشار الأسد للشعب السوري الأسير، على شاشة إحدى الفضائيات العربية .. كان الراحل منحازا للطاغية في حربه الآثمة ضد شعبه البائس، بحجة الانتصار لما يسمى المقاومة والممانعة، واستهداف سورية من قبل أشرار العالم لتقسيمها ، وإخراجها من المعادلة السياسية المرتبطة بمشكلة فلسطين .. إلى آخر ما يتردد بهذا الشأن !

حزنت لوفاة الرجل، وكنت أتمنى أن يعالج الأمر هو وأقرانه من زاوية الانتصار لكرامة الإنسان - أي إنسان - أولا قبل أي اعتبار آخر، كما فعل بعض الناصريين الذين انحازوا إلى ضمائرهم قبل انحيازهم إلى جماعتهم، فرفضوا ما يفعله الطاغية السفاح من قتل وتطهير عرقي تعتمده طائفته في إخلاء مناطق بعينها وتطهيرها من سكانها الذين يمثلون الأغلبية، مع إطلاق المدفعية والدبابات والمروحيات للقضاء على النساء والعجائز والأطفال، وتدمير المساكن والمساجد في مشاهد لا تقل وحشية وهمجية عما كان يفعله صرب البوسنة بالمسلمين هناك في ظل حماية دولية أوربية !

بعض من يرتدي قميص عبد الناصر كان في انحيازه لأنظمة القمع والطغيان

سافرا لا يتغطى ولو بورقة توت اعتقادا أن ذلك سيحمي القومية العربية، ويقوي أواصر الوحدة بين شعوب العرب، كيف يتحقق ذلك والطغاة يسحقون البشر، ويصفونهم بالجرذان والجراثيم والقمل والمخدرين ؟

كان موقف الناصريين في اليمن أفضل من نظرائهم في بقية الدول العربية حين انحازوا للثورة مباشرة، كما كان موقفهم أفضل من موقف الشيوعيين في دول الربيع العربي جميعا، فقد التفوا حول القضية الكبرى وهي تحرير الوطن من الحكم الفاسد والتعاون مع غيرهم لبناء نظام حر ديمقراطي دستوري ..

معظم الشيوعيين في مصر على سبيل المثال انحازوا إلى النظام الفاسد، الذي منحهم بعض الفتات، ولعبوا دورا قبيحا في الهجوم على الإسلام والمسلمين، وروجوا للطائفية، وركزوا على قضايا جزئية متناسين قضية الوطن الكبرى وهي الحرية، وحين أخرجتهم الانتخابات التشريعية والرئاسية صفر اليدين اتهموا الشعب بالجهل والأمية، وازدادوا سعارا في مهاجمة الإسلام والمسلمين .

صحيح أن الناصريين لم يحصدوا مقاعد ذات بال في الانتخابات التشريعية، ولكن بعضهم انحاز إلى الثورة والثوار، ولم يمنعه الاختلاف الأيديولوجي والفكري من البحث عن نقاط اتفاق والتقاء مع الأغلبية من أجل الوطن، وهو موقف مقدر ومعتبر، ولكن بعض من يرتدون قميص عبد الناصر آثر أن يعمل لنفسه مثلما كان يعمل بوجهين في عهد المخلوع، وكان غريبا أن تكون هناك تحالفات ناصرية مع مرشح النظام الفاسد الذي أعلن بصراحة أنه تلميذ "نجيب" للمخلوع، ويرى فيه المثل لأعلى !

لقد انطفأت الناصرية منذ هزيمة ٦٧، ولم يبق من أنصارها إلا بعض من استفادوا بالمهمات غير الطيبة التي أسندت إليهم في تنظيمات وسياقات لا تشرّف مواطنا حرا كريما، مثل التنظيم الطليعي، ومنظمات الشباب، وخدمة الأمن والمخابرات ضد الشعب، والعمل في بعض المؤسسات ذات الحيثية، وبالطبع هناك من انحاز إلى الناصرية بوصف ذلك نوعا من الشهامة في مرحلة انقلب فيها المنافقون من مؤيدين لعبد الناصر ومسبحين بحمده إلى تأييد السادات والهتاف له .

بعض أعوان عبد الناصر الكبار صرحوا أنه لا يوجد شيء اسمه الناصرية،

وقد تحمل الوطن في العهد الناصري ثلاث معارك حربية رئيسية قصمت ظهر الوطن والجيش جميعا .. الحرب الأولى في عام ٥٦ وانتهت بتجريد سيناء من السلاح وعرف الجيش لأول مرة انسحابا فوضويا مخزيا سمح للدولة اللقيطة أن تمر في مياه خليج العقبة، وتصنع من القرية المصرية أم الرشراش المحتلة مدينة بحرية لها اسم عبري (إيلات) تغص بالسكان الغزاة من شتى أرجاء العالم، والحرب الثانية بدأت فعليا في عام ٦٢ في اليمن السعيد

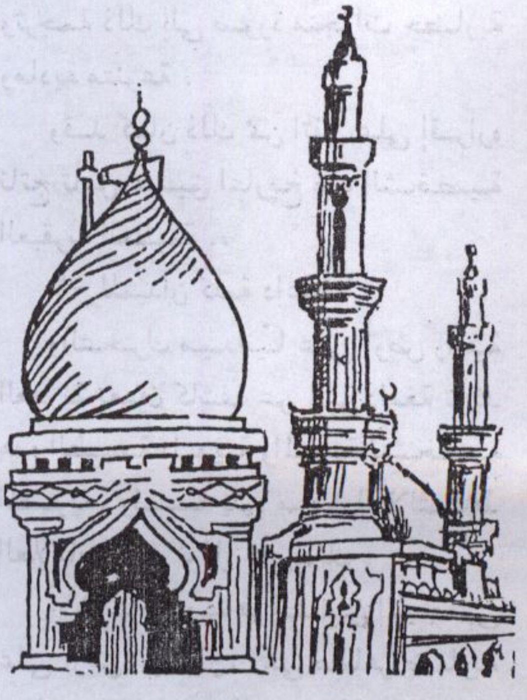

واستمرت خمس سنوات تم فيها القضاء على رصيد الخزينة المصرية حيث كان الإنفاق اليومي ما لا يقل عن مليون جنيه استرليني بسعر تلك الأيام، وانهار الجيش ولم يعرف حتى اليوم عدد القتلى في هذه الحرب العبثية، ولم يعد منها مصاب واحد فقد تواترت الأنباء أن المصابين وخاصة من بترت أطرافهم كان يلقى بهم في البحر الأحمر العميق كي لا يهيج الشعب !

ثم جاءت الحرب الثالثة ليعلن الزعيم الملهم، خالد الذكر والهزائم ؛ أنه ليس "خرعًا" مثل مستر إيدن ؛ فتم تدمير سلاح الطيران وذبح الجيش بلا رحمة في صحراء سيناء عام ٦٧ ، ووصل الغزاة ثانية إلى قناة السويس، وبعد أن كان الشعار تحرير فلسطين من البحر إلى النهر صار إزالة آثار العدوان التي لم تزل حتى اليوم !

من حق الناصريين أن يكون لهم وجود سياسي حقيقي في الشارع وأن يعملوا من أجل ذلك وأن يختلفوا مع الحركة الإسلامية من إخوان وسلفيين وجهاديين وغيرهم، ولكن ليس من حقهم أن يشتبكوا مع الإسلام والتركيز على بعض ممارسات المسلمين والنفخ فيها ؛ لأنه دين الأغلبية الساحقة التي لن تتخلى عنه أبدا .

أ.د. حلمى القاعود

مدخل لتحليل الشخصية المصرية

بقلم : د. خالد فهمي

١- مدخل : المحاولات كثيرة ..

كثيرة هي المحاولات التي حاولت فحص أبعاد الشخصية المصرية، اضطلع بعبئها عدد كثير من علماء علوم مختلفة، يقع في القلب منها علم الاجتماع وعلم النفس وعلم التاريخ وعلم الحضارة وعلم الفلسفة .

ولا تزال أسماء كثيرة استطاعت أن تسبر غور هذه النفس المصرية العظيمة من أمثال الدكتور الساعاتي والدكتور عبد الواحد وافي والدكتور زكي نجيب محمود والدكتور محمد عمارة والدكتور يحيى الصاوي والدكتور جلال أمين وغيرهم .

ومع تقدير منطلقاتهم المختلفة بحكم تنوع اختصاصاتهم، فإن ثمة اتفاقًا عبروا عنه جميعًا، واستقر حقيقة علمية ثابتة تقرر أن الشخصية المصرية تطير بجناحين جامعين هما :

أ- جناح التدين والإقبال على الله تعالي وتقدير عطاء السماء .

ب- جناح الإبداع والإقبال على الحياة وترجمة ذلك إلى صورة منجزات حضارية ومادية متنوعة .

وقد كان ذلك ممن اتفق على إقراره ناتج تأمل عميق لتاريخ هذه الشخصية العبقرية العظيمة ..

٢- للميدان كلمة داعمة

والتحرك ميدانيًا على أرض رابعة العدوية تعين كاشف عن أدلة دامغة تؤكد هذه الطبيعة المتدينة والمبدعة للشخصية المصرية، وفيما يلي محاولة لالتقاط العلامات التي تدلل على ذلك :

أولا تنامي مظاهر التدين الإيجابي على أرض الميدان، وهي مظاهر ضاربة بجذورها في عمق الوجدان المصري وهي

مظاهر لم تقف عند حدود العبادات بمعناها الضيق المتمثل في طقوس الصلاة أو الصيام أو إلقاء التحيات وما شابه، ولكنها تعدت إلى التدين بمفهومه الأخلاقي والحضاري الذي تمثل في الإيثار والتواد والتعاون والتسامح والتراحم بشكل عجيب ومدهش .

لقد استطاعت الفكرة الدينية مع تنوع تياراتها ومذاهبها ، أن تساعد على تعايش ملايين المعتصمين من دون تشاحن أو ما دونه وهم قد جاءوا من بيئات ومحافظات ومستويات تعليمية مختلفة، مما يعكس القدرة الهائلة للفكرة الدينية الإسلامية على خلق مجتمع متماسك ومتآلف ومسالم.

ثانيا تطور المنجز الحضاري المادي حيث ابتدأ المعتصمون أمر اعتصامهم بخيم بدائية ربما بإحساس فطري أولي يقول إن الاعتصام لن يطول ومع تبدل هذا الإحساس تطورت الخيم لتبني من ألواح خشبية وأعمدة حديدية بمقاييس هندسية تراعي قدراً معقولا من التهوية وباتساع مناسب يستوعب عدد من يقيمون فيها .

أضف إلى ذلك أمر تطور الحمامات التي بدأت بدائية اعتماداً على توصيلات سريعة لأنابيب بلاستيكية مع إعادة تدوير زجاجات المياه الفارغة الكبيرة ليصنع منها حمامات للتبول وقد تطورت ليحل محلها حمامات أخرى مبنية من غرف معدنية على هيئة أكشاك تليفونية معروفة .

ومن جهة أخرى استطاع المعتصمون صناعة مخدات أسطوانية من الإسفنج وتوزيعها على المعتصمين للنوم .

إن هذا البعد الحضاري المادي كاشف بدرجة مذهلة عما يتمتع به العقل المصري من قدرة فائقة على الإبداع لدرجة اختراع المعتصمين طائرة صغيرة حاملة للكاميرات لتصوير أعداد المعتصمين في الميدان بعد حالة التعتيم الإعلامي الانقلابي ضده .

ثالثًا تنامي مظاهر البعد الإنساني، ولعل أظهر ما كان لتجليات هذا المحور كان هو المستشفى الميداني .. ففيه قصص إنسانية رفيعة المستوى تقدر الألم الإنساني وتحنو عليه وتسرع في التخفيف عنه .

رابعًا تنامي مظاهر الإقبال على الحياة

وهي سمة أصيلة تميز الشخصية المصرية وتدفعها دفعًا إلى الإبداع، ومن مظاهرها إقامة الملاهي وتنظيم دورات للألعاب الرياضية وإقامة خيمات للفنون القولية مثل خيمة الفهامة، الأمر الذي تطور ليتحول إلى منتدى ثقافي .

إن المصريين يدهشون العالم ويسترجعون في ظروف بالغة القسوة تاريخًا من الحضارة والعبقرية والإبداع .

***

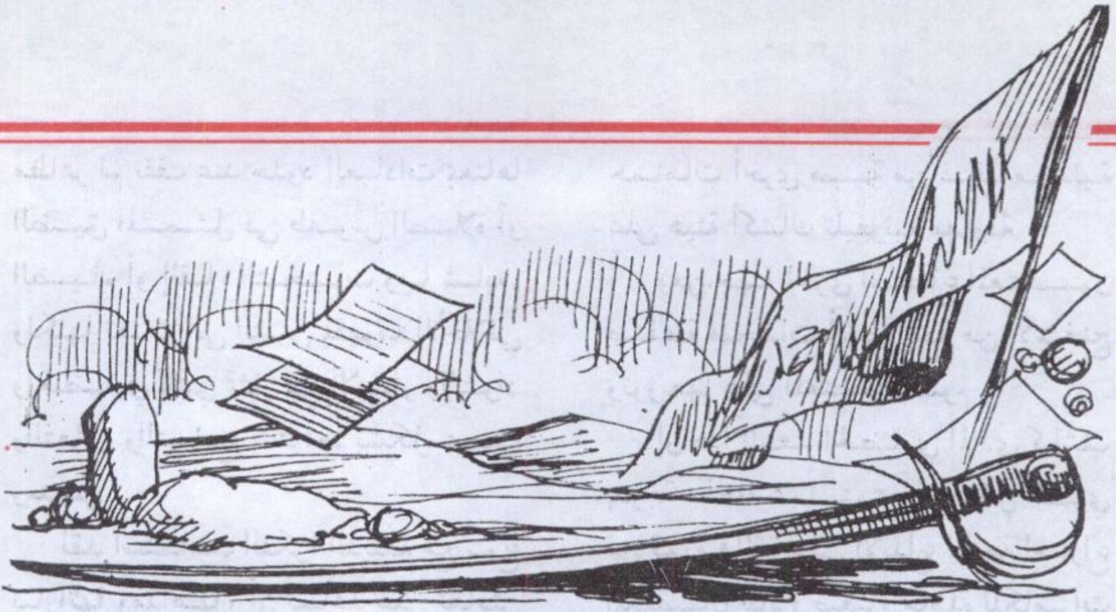

سيد العظماء صلى الله عليه وسلم

من الكتب المهمة التى ظهرت فى أمريكا كتاب اسمه (المائة) .. والكتاب مجلد ضخم يقع فى ستمائة صفحة تقريباً، ويحاول الكتاب ترتيب أهم مائة شخصية أثرت فى تاريخ الإنسانية ..

إن أحداً لا يكره النفوذ، بل إن الناس يسعون إليه، وكل واحد من هؤلاء المائة كان يملك نفوذا هائلا، وكان يحرك مصائر الملايين والبلايين، وكان يتحكم فى صعود الحضارات أو هبوطها، كما كان كل واحد من هؤلاء المائة يملك القدرة على تحويل مجرى التاريخ .. مؤلف الكتاب هو الدكتور ميشيل هارت، وهو أصلا أستاذ فى الرياضيات والطبيعة والفلك، وقد عمل فى مشروع غزو الفضاء، ولا علاقة له بالتاريخ أو فلسفته أو الأديان المقارنة .

من تظنه وضع على رأس المائة الذين أثروا فى تاريخ العالم ؟

لقد قدم الدكتور ميشيل هارت مفاجأة .. لم يختر المسيح ولم يختر كارل ماركس .. وإنما اختار محمدا .. نبى الإسلام .. الثانى بعده هو اسحق نيوتن .. الثالث بعده هو السيد المسيح .. الرابع هو بوذا والخامس هو كونفشيوس .

ومما يلفت النظر أن هذا العالم الأمريكى قد اختار عمر بن الخطاب ليكون الشخص رقم ٥٠ فى عدد المائة الذين اعتبرهم مسئولين عن تحول البشرية ..

قال النقاد عن الكتاب : إنه يتحداك ويقنعك، وحتى لو رفضت أن تقتنع فإن ما يقدمه الكتاب سوف يستولى على عقلك فى الوقت نفسه الذى يمتعك فيه ..

والمتعة هنا هى متعة تحليلية يقدمها رجل عالم فى الفلك والرياضيات، وله معاييره التى تختلف عن معايير أساتذة التاريخ .. وينبهنا المؤلف فى بداية كتابه إلى أنه لا يقصر الأهمية على معنى العظمة .. فكتابه عن الأهمية .. بمعنى التأثير الحقيقى على إدارة عجلة التاريخ .. والقدرة الفعلية على تحويل مجراه..

يحكى فولتير فى كتابه (رسائل عن الإنجليز) أنه خلال إقامته فى إنجلترا سنة ١٧٢٦ قابل مجموعة من المثقفين الذين طرحوا سؤالا يقول من كان أعظم الناس.. قيصر .. الاسكندر الأكبر .. تاليران .. أو كرومويل.. وقرر أحد المثقفين أن إسحق نيوتن هو أعظم الجميع بلا استثناء.

فولتير فى تحليله يرى أننا بفضل نيوتن صرنا نحكم عقولنا بقوانين الحقيقة ولا نذلها بالعنف أو نلفق لها الأكاذيب والدجل.. وهذا معيار العظمة عند فولتير.

ما معيار العظمة ومعيار الأهمية عند المؤلف الأمريكى، وعلى أى أساس اختار العالم الأمريكى محمداً النبى العربى ليكون الأول .

يعتبر الكاتب الأمريكى ميشيل هارت أن محمداً هو الوحيد صاحب النفوذ الأعظم على التاريخ الإنسانى .

ويفرد الكاتب فى كتابه (المائة) .. سبع صفحات عن رسول الله ﷺ ، ومن بين الصفحات السبع صفحتان تحتلهما خريطة للمد الإسلامى، ونصف صفحة تحتلها لوحة لرسام تخيل جيش المسلمين وهو يغزو تحت علم الله، وهذا الفصل الذى يعطيه الكاتب عنوان (محمد) .. هو أطول فصول الكتاب، فليست هناك شخصية تزيد عن ست صفحات، ومعظم الصفحات عن الشخصيات تحتلها الرسوم والصور، والكلمات التى تحدث فيها عن الرسول لا تزيد عن ١٥٠٠ كلمة، وأسلوب الكاتب مركز جداً، وهو يستند إلى معلومات دقيقة، والإحساس الذى يخرج به القارئ أن الكاتب الأمريكى قرأ بعمق آلاف الصفحات وفهمها جيداً قبل أن يكتب ..

وعقل الكاتب من نوع غريب، وربما كانت غرابته هى مصدر قوته فى نفس الوقت، فالمؤلف عالم فى الرياضيات والطبيعة والفلك، وهذه العلوم ليس فيها لف ولا دوران، كما أنها علوم ليس فيها تعبير أو إنشاء، فأنت لا تستطيع مثلا أن تحل مسألة هندسية بالتغزل فى جمال المثلث أو وصف دوران الدائرة .

نحن أمام علوم من لون خاص، وسر لونها الخاص أنها تحقق ما لا يمكن النفاذ إليها إلا عن طريق مفاتيحها الصحيحة .

ولقد قرأت عن الرسول ﷺ لمؤلفين عرب ومؤلفين من غير العرب، وقرأت عنه

لمؤلفين مسلمين وغير مسلمين، وقرأت عنه لمن يحبه ولمن يكرهه ويكيد له، فلم أر مؤلفا فى إيجاز ميشيل هارت، إنه يستعرض قصة حياة الرسول وقصة حياة الدعوة فى صفحة ونصف، ويفرد ما يقرب من ثلاث صفحات ونصف لتحليل سر اختياره لمحمد ليحتل المركز الأول فى التأثير على عجلة التاريخ. والمؤلف ليس مسلما من أتباع محمد ليقال إنه جامله واختاره ليكون أعظم المؤثرين فى التاريخ الإنسانى، بل على العكس من ذلك، المؤلف مسيحى من أتباع عيسى، ولأن ميشيل هارت عالم فى الطبيعة والفلك يسيطر عليه حياد علمى من لون غريب، ويسيطر عليه منطق العلماء فى التحليل والتركيب، وأى كاتب عربى مثلا لا يستطيع أن يقارن محمداً بعيسى، ويخرج من مقارنته بأن أحدهما كان له تأثير أكبر من الآخر على التاريخ، ولكن ميشيل هارت يفعل ذلك دون خشية، وأى كاتب عربى يتحرج أن يقارن بين حروب الإسلام وحروب المغول، ولكن ميشيل هارت يفعل ذلك ببساطة دون حرج .. وينتهى إلى تفضيل حروب الإسلام على أى حروب أخرى فى التاريخ .

ولو سمح لى القارئ فسوف أترجم له ما قاله ميشيل هارت عن الرسول، وسوف أسمح لنفسى بالتعليق كلما رأيت الأمر يوجب التعليق .

لماذا .. الأول ؟

يقرر المؤلف الأمريكى ميشيل هارت فى كتابه عن (المائة الأكثر نفوذا فى التاريخ الإنسانى)، أنه اختار ذوى النفوذ بالمعنى الكامل، ولذلك لم يقنع بالشهرة، أو الوضع الإنسانى، أو ذيوع الذكر، أو الموهبة، أو نبل الشخصية فقط، وإنما كان يبحث عن النفوذ بمعنى : القدرة على تغيير مجرى التاريخ والتأثير فى البشر..

يقول فى مقدمة كتابه : عندما أبحث عن ترتيب الأهمية لشخص ما، فإننى أعطى اعتبارا خاصا للحركة التاريخية التى كانت ثمرة لجهده، وعموما لا تقع حركات التاريخ نتيجة جهد فردى، ومن هنا تبرز أهمية النفوذ الذى يملكه شخص ما، ويستطيع من خلاله أن يقنع الآلاف أو الملايين بإحداث تغيير فى الحضارة أو التاريخ .. ولعل المثال المثير على ذلك ترتيبى لمحمد ﷺ، ووضعه قبل عيسى، عليه السلام .. فأنا مقتنع بأن محمداً كان له نفوذ فى تكوين العقيدة الإسلامية، أكثر من نفوذ عيسى فى تكوين العقيدة المسيحية، وليس معنى هذا أننى أفضل محمداً على عيسى ..

ويقول المؤلف فى بداية فصله الأول وعنوانه : (محمد ٥٧٠ - ٦٣٢) إن

اختيارى لمحمد ليكون الأول بين ذوى النفوذ المؤثرين فى العالم قد يدهش بعض القراء، ويصير مثار تساؤلات من البقية، ولكنه هو الوحيد فى التاريخ الذى كان امتيازه متكافئا على المستوى الدينى والدنيوى .. وبأصول متواضعة أسس محمد ديانة من ديانات العالم العظيمة، وأصبح زعيما سياسيا، ورغم مرور أكثر من ١٤ قرناً على وفاته، لا يزال نفوذه الدينى والسياسى عميقاً ومستمراً ..

ومعظم شخصيات هذا الكتاب (يقصد بقية الـ ٩٩)، كانت عندهم فرصة الميلاد والنشوء فى مراكز للحضارة الإنسانية، ولكن محمداً ولد سنة ٥٧٠ فى مدينة مكة التى تقع فى الجزيرة العربية، وكانت الجزيرة العربية يومئذ منطقة متخلفة من مناطق العالم، تبعد كل البعد عن مراكز التجارة والفن والتعليم، أصابه اليتم فى السادسة، وتزوج فى الخامسة والعشرين من أرملة ثرية، واقترب من عامه الأربعين، وكان العرب فى هذا الوقت وثنيين، يؤمنون بآلهة متعددة، وفى سن الأربعين آمن محمد بأن الله الواحد الذى يحكم الكون يُوحِى إليه، وقد اختاره لينشر الإيمان الحقيقى.. وعلى امتداد ثلاث سنوات دعا محمد أصدقاءه المخلصين سراً إلى الإسلام، وفى حوالى سنة ٦١٣ بدأ دعوته علانية، واعتبرت سلطات مكة أن وجوده يمثل خطراً عليها، ولأسباب تتعلق بالأمن خرج من مكة إلى المدينة (وهى مدينة تبعد ٢٠٠ ميل شمالى مكة)، وهناك صار له مركز سياسى مرموق .. وهذا الخروج الذى يسمونه (الهجرة)، كان نقطة تحول فى حياة الرسول وحياة الدعوة.

حروب الإسلام

يقول ميشيل هارت فى فصله الأول عن (محمد) : كانت الهجرة .. نقطة تحول فى حياة الرسول، فقد كان أتباعه قلائل فى مكة، وزاد أتباعه فى المدينة وصار له نفوذ الحاكم المطلق الفاضل، وخلال السنوات التالية، وفى نفس الوقت الذى زاد فيه أتباع الدين الجديد، جرت عدة معارك بين المدينة ومكة، وانتهت هذه الحروب سنة ٦٣٠ بانتصار محمد وعودته إلى مكة فاتحا، وقد بقيت سنتان ونصف فى حياته بعد ذلك، وشهدت هذه الفترة دخولا سريعا للقبائل العربية فى الدين الجديد، وعندما مات محمد سنة ٦٣٢ ، كان هو الحاكم المؤثر فى الجزيرة العربية كلها.

والمعروف عن القبائل العربية شهرتهم كمحاربين أشداء، ولكن عددهم كان قليلاً، وكانوا مطعونين بالانقسام ممزقين من الحروب الداخلية، ولم تكن لديهم أية إمكانية للتصدى لجيوش الممالك الزراعية المستقرة فى الشمال .. ولكنهم بعد

اتحادهم تحت راية محمد، وللمرة الأولى فى التاريخ، وبسبب توحدهم فى الإيمان بالله الواحد .. بدأت الجيوش العربية تشق طريقها فى سلسلة من الغزوات التى تثير الدهشة بشكل لا تثيره أى غزوات أخرى فى التاريخ .

ففى الشمال الشرقى تستقر إمبراطورية الفرس، وفى الشمال الغربى ترقد الدولة البيزنطية أو الإمبراطورية الرومانية الشرقية، ولم يكن يدور بخاطر أحد أن العرب يمكن أن يواجهوا أيا من هاتين الإمبراطوريتين، ولكن الذى حدث أن الجيوش العربية بدأت غزو هاتين الدولتين، وبعد فتح فلسطين وسوريا فتحت مصر سنة ٦٤٢، وسُحقَت الجيوش الفارسية فى معركة القادسيةَ سنة ٦٣٧ ونهاوند سنة ٦٤٢..

وهذه الحروب الجبارة التى تمت تحت زعامة أصدقاء محمد وخليفته عمر بن الخطاب لم تشكل نهاية التقدم العربى، ففى سنة ٧١١ اجتاحت الجيوش العربية شمال إفريقيا ووصلت إلى المحيط الأطلسى، ثم استدارت شمالا، وعبرت جبل طارق وهددت مملكة إسبانيا ..

وبدا واضحا أن العرب يمكن أن يكتسحوا أوروبا المسيحية، ثم حدث سنة ٧٣٢ فى معركة تور أن أوقف تقدم الجيش العربى فى فرنسا، وهزم من الفرنجة، كما دخل الساحل الشمالى لإفريقيا فى الإسلام، ومن المدهش - ورغم كل شىء - نجحت الجيوش العربية بإلهام من كلمات الرسول، فى نحت إمبراطورية تمتد من الهند إلى المحيط الأطلسى، وهى أضخم إمبراطورية شهدها التاريخ الإنسانى .

ومع كل بقعة أرض احتلتها الجيوش العربية، كان الدين الجديد يكسب اتباعا جددا من البشر ..

ما الذى بقى حتى اليوم من هذه الإمبراطورية ؟

هذا هو السؤال الذى يطرحه الكاتب الأمريكى .

الدليل على نفوذه

يتساءل الكاتب الأمريكى ميشيل هارت عن غزوات الإسلام للدول المسيحية أو الوثنية، هل بقيت على إسلامها بعد رحيل الجيوش ومرور القرون أم لا ؟

ويكتشف من سياق الإجابة عن سؤاله سر عظمة الرسول أو سر نفوذه، لقد بقيت حضارتان من أقدم حضارات العالم تحت مظلة الإسلام .. هما مصر الإسلام فلم يصبغ هذه الدول بلون العقيدة الواحدة، وإنما صبغها بالصبغة العربية أيضا، ودخل الملايين من أهل الحضارات القديمة فى ديانة العرب، ولما كان عدد المسلمين يتساوى مع عدد المسيحيين فى العالم

تقريباً، فمن الغريب أن يعطى نبى الإسلام محمد رتبة أعلى من رتبة عيسى ..

يتساءل ميشيل هارت هذا التساؤل فى كتابه، ويسوق سببين لاختياره :

السبب الأول أن الدور الذى لعبه محمد فى تطور العقيدة الإسلامية أضخم - فى رأيه - من الدور الذى لعبه عيسى فى تطور العقيدة المسيحية .. فعلى حين انفرد رسول الإسلام بتطوير الإسلام وحده، وضع عيسى أسس القواعد الأخلاقية المسيحية، وقام القديس بولس بتطوير العقيدة المسيحية وكتابة الإنجيل، وعلى المستوى العقائدى البحت يفترض الكاتب الأمريكى أن محمداً وعيسى يتساويان فى النفوذ الدينى، ولكن رسول الإسلام بعكس عيسى كان زعيما دنيوياً إلى جوار كونه زعيما

دينيا، وبوصفه المحرك الأول لغزوات الإسلام يمكن القول إنه أكثر الزعماء السياسيين نفوذا فى العالم .

وهناك أحداث تاريخية كان لابد أن تقع حتى لو لم يوجد الزعيم الذى وجهها، مثال ذلك مستعمرات أمريكا الجنوبية، كان لا بد أن تحصل على استقلالها من إسبانيا حتى لو لم يعش سيمون بولفار .. ولكن هذا المنطق لا يمكن تطبيقه على غزوات الإسلام، فلم يكن ممكنا أن تقوم هذه الغزوات بغير محمد ..

والغزوات الوحيدة التى يمكن مقارنتها بحروب الإسلام هى غزوات المغول فى القرن الثالث عشر، لقد نشأت هذه الغزوات بقيادة، وامتدت أكثر من امتداد الغزو العربى، ولكنها لم تصمد للزمن كحروب الإسلام، وإنما انحسرت بعد سنوات وعادت مملكة المغول إلى التقلص، وتختلف الغزوات العربية فى تأثيرها تماما، فليست هناك أرض قد تأثرت بقيم القرآن كالأرض العربية، وتتحد الدول العربية - رغم كل خلافاتها وتناقضاتها الظاهرة - فى الإيمان بالقرآن، وفى وجود لغة عربية واحدة تربط بينها، كما تتحد فى التاريخ والثقافة، ورغم مرور ١٣ قرناً من الزمان أو أكثر، لا تزال حروب محمد تؤثر فى العالم، وبقاء الدول العربية ومواقفها المتقاربة دليل على ذلك.

رسول الله

يرى المؤلف الأمريكى ميشيل هارت أن محمد بن عبد الله الرسول العربى الذى ولد فى مكة، كان أعظم البشر نفوذا وتأثيراً فى التاريخ الإنسانى، وهو يسوق أسبابه الوجيهة التى تضع اختياره على رأس القائمة البشرية.. ويعرف المسلمون عن رسولهم أسباباً أخرى تجعله يحتل هذا المقام .. يحدثنا القرآن الكريم أن هناك خمسة من الرسل هم أولو العزم الكبار وهؤلاء هم الذين أخذ الله منهم ميثاقاً غليظا ، وهم بترتيب بعثهم إلى الناس سادتنا: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد .. عليهم الصلاة والسلام .

أما نوح فهو صاحب الطوفان، وإبراهيم خليل الله، وموسى كليم الله وعيسى كلمة الله ومحمد هو رحمة الله .

كانت معجزة إبراهيم تحول النار حين ألقى فيها إلى برد وسلام، وكانت معجزات موسى هى شق البحر والعصا واليد، وكانت معجزات عيسى هى إحياء الموتى وشفاء ما لا يشفى من الأمراض بإذن الله .. ونلاحظ أن هذه المعجزات كلها مادية ومؤقتة بزمان محدد ، هو زمن النبى الذى وقعت فى عصره، ولهذا اختفت هذه المعجزات بموت من مات من هؤلاء الأنبياء أو برفعهم إلى الله .

أما معجزة الرسول فلم تزل فى أيدينا كل يوم.. القرآن الكريم.. ونلاحظ أن معجزة الرسول كانت كتابا .. كما نرصد أن أول كلمة نزلت من القرآن كانت اقرأ.. وهذا كله يعنى أن معجزة النبى ﷺ كانت تتصل بالفكر .. كانت افتتاحاً لعصر النضج العقلى وإيذاناً ببدايته. ولهذا الأمر دلالته .

وقد لاحظ المؤلف الأمريكى ميشيل هارت اختلاف غزوات المغول، وأدرك أن سيوف المغول كانت تبرق فى الظلام لمجرد الغزو، أما سيوف المسلمين فكانت كمشرط الجراح تبرق بفكرة الشفاء والخلاص من الألم.. وهذا هو السر فى ذهاب فتوح المغول وبقاء الفتوحات الإسلامية .. ورغم موت الرسول ﷺ منذ ١٤ قرناً فإن تأثيره لا يزال حيا وموجوداً ويمارس نفوذه ..

وعلى المستوى الشكلى البحت لا يزال بعض المسلمين يطلقون لحاهم ويقصون شواربهم اقتداء برسول الله فى مظهره .

وعلى المستوى الموضوعى يصلى جميع المسلمين كما علمهم الرسول، ويتعبدون كما أمرهم، ويحاولون التصرف كما كان يتصرف، مدركين أنه هو المثل الأعلى للإنسان، عارفين أنه شمس الكمالات البشرية.

والحقيقة أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم كان سيد البشر فى الكمال الإنسانى لا ينازعه منازع.. وهناك أسباب كثيرة لذلك..

سيد العظماء

يحلو لكثير من الناس أن يسأل :

هل كان رسول الله سيد البشر فى الكمال الإنسانى، أم أنه صار سيد البشر حين اختاره الله لنشر الإسلام.؟ والسؤال يحاول أن يعرف هل كان فضل الرسول سببا لاختياره، أم نتيجة لهذا الاختيار..؟

الجواب الصحيح فى تصورى أن فضل الرسول وسيادته على البشر كانا سببا ونتيجة معا.. وفى الرقى والتركيب لا تتوقع إجابة ساذجة على سؤال بسيط .

أقرب إلى المنطق أن تجىء الإجابة معقدة .

لو لم يكن رسول الله هو سيد البشر لما اختير لحمل رسالة نهائية ينزل الستار بعدها على الأنبياء ويتوقف وحى السماء للأرض .. والله هو الكمال المطلق بلا تحديد ولا تصور.. فإذا اختار الله سبحانه انصرفت مشيئته إلى الكمال .. والأصل فى الاختيار الإنسانى أنه يبحث فى الرسول عن صفات جوهرية كالأمانة والفضل والقدوة والشرف وذلك لضمان توصيل الرسالة كما هى.. واختيار الله هو الدقة المطلقة ويختلف تماما عن الإنسان الذى يحكم بالظن والتصور ؛ إذ يختار الله تعالى وهو يعلم حقيقة الضمائر ومزاج القلوب ومعادن النفوس .

نفهم من هذا أن جميع أنبياء الله كانوا أشرف الخلق قلبا وقالبا، وكانوا أفضل المعادن البشرية على الأرض ..

وهذا هو الأصل فيهم قبل اختيارهم للرسالة ..

فإذا وقع عليهم اختيار الله عز وجل، أضاءوا بشرف يستمدونه من جلال الله ذاته.. وأضاءوا بشرف مهمتهم الجديدة فى تصحيح فكرة الإنسان عن الخالق ..

وهكذا يزيد قدر النبى - أى نبى - بعد البعثة إلى الناس وتكليفه بالرسالة.. يزيد قدره شرفا ويبدأ الصعود من القمة التى كان فيها إلى قمم أخرى لا نعلم عنها نحن التوابين المذنبين شيئا .

وكل أنبياء الله كانوا قمما شامخة فى الكرامة الإنسانية واحترام الإنسان .. وكان رسول الله ﷺ هو آخر الأبنية الشامخة، ولهذا جاء فضله أعلى فضل يطيقه تركيب الإنسان المدهش .

تأمل عظمة الرسول من أى زاوية تحب.. ابدأ دراسته من أى مستوى تختاره.. لن تجد غير بيت الشعر القائل :

يا سماء ما طاولتها سماء..

ميشيل هارت

ترجمة : أحمد بهجت

أوقفوا الانهيار في الإعلام المصري

عندما سألني الصحفي الأمريكي قبل أيام عن "حالة" الإعلام في مصر الآن، وهو المجال الذي يهتم به وأتى من أجله خصيصا، قلت له إن الإعلام المصري "بعافية" حبتين هذه الأيام، فطلب توضيحا لما أقصده، فقلت له إنه من الصعب أن نسوق كلاما يقول إن السيناتور جون ماكين عضو مجلس الشيوخ الأمريكي يتعاطف مع تنظيم الإخوان المسلمين لأنه شريك في تجارة سلاح غير مشروعة مع خيرت الشاطر قيادي الجماعة المحظورة، وينشر ذلك في أي إعلام محترم، ترك الرجل القلم والورقة التي يدون فيها ملاحظاته وتفحص وجهي طويلا كأنما يتأكد من أني بكامل الوعي ولست "سكران"، فأكدت له صحة هذه المعلومة الخطيرة نقلا عن صحف مصرية يومية شهيرة، ولا أعرف كيف سيكون حال الرجل عندما يخبره آخرون عن الخبر القنبلة الذي "انفردت" به صحيفة حزبية يومية كبيرة في مصر من اكتشافها أن الرئيس الأمريكي باراك أوباما عضو في التنظيم الدولي للإخوان المسلمين، الصحيفة لم توضح بالضبط الزمان والمكان الذي أدى فيه أوباما قسم الولاء والبيعة للدكتور محمد بديع مرشد الإخوان، كما لم توضح المركز الذي يشغله الرئيس أوباما في تنظيم الإخوان المسلمين، وهل تمت ترقيته إلى عضوية مكتب الإرشاد مع خيرت الشاطر ومحمود عزت ورشاد البيومي، أم أنهم اكتفوا بأنه مسئول شعبة الجماعة في البيت الأبيض !، وقبل يومين كتب رئيس تحرير صحيفة الأهرام التي تعتبر على نطاق واسع المتحدثة باسم الحكومة والسلطة القائمة، حتى أيام الإخوان وسلطتهم، كتب يعرض مذكرة اتهام خطيرة في حق السفيرة الأمريكية "آن باترسون"، كشف فيها معلومات "خطيرة" أخرى تتحدث عن تورط السفيرة الأمريكية في مؤامرة تهريب السلاح والإرهابيين إلى مصر، وأنها ضالعة في مخطط تخريبي واسع النطاق لتقسيم مصر إلى دولتين في

الشمال والجنوب، وستكون عاصمة الجنوب هي مدينة "المنيا" وكلام طويل عريض على هذه الشاكلة، السفيرة الأمريكية التي غادرت الآن بعد انقضاء مدتها، كتبت خطابا شديد اللهجة للصحيفة المصرية تقول فيها أن ما نشرته ليس "صحافة سيئة"، لأنه لا يعتبر صحافة من حيث الأساس، ووصفت ما كتب بأنه خيالات وتهريج لا يليق بأكبر صحيفة رسمية في مصر وأنه مجرد تحريض على العنف وزيادة التوتر في بلد هو متوتر بالفعل حسب قول باترسون في خطابها غير المسبوق، والحقيقة أن ما نسبته الأهرام للسفيرة الأمريكية لو "لبس" في مواطن مصري، لكان الآن ينتظر حكما بالإعدام أو المؤبد من محكمة أمن الدولة.

هناك حالة من التدني والإسفاف في

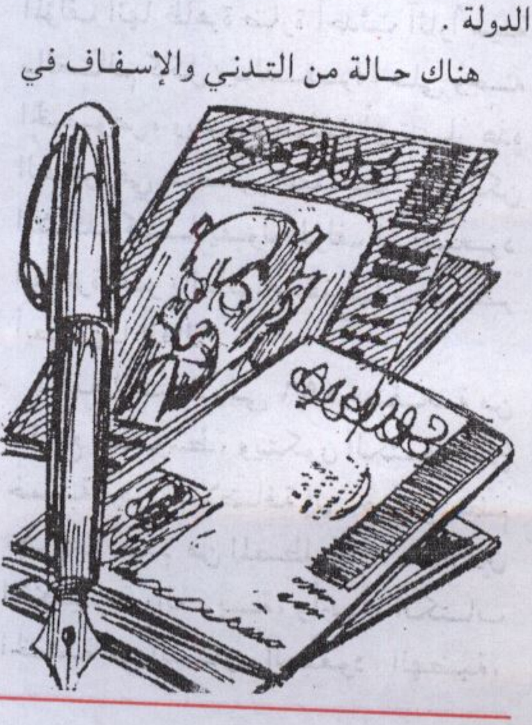

الصحافة المصرية والإعلام المصري هذه الأيام ليس له مثيل فيما سبق، شيء أقرب إلى الجنون والهلاوس لا يمكن تصور صدوره من منظومة لها رصيد من العمق والتاريخ كانت فيه رائدة للإعلام العربي كله، نحن نعيش الآن فضيحة وطنية مروعة، تقتضي أن تكون هناك حالة استنفار في نقابة الصحفيين وفي أول اجتماع للمجلس الأعلى للصحافة بتشكيله الجديد، لوقف هذه الفوضى وإخضاع كل من يرتكب هذه الحماقات للمساءلة المهنية، لأنه يهين الصحافة المصرية، ويسيء إلى جميع منتسبيها، لا بد من وقف الانهيار بأسرع وقت، ولا يغفر لأحد محاولة تزلفه الطفولي للسلطة الجديدة أو القيادة العسكرية بمثل هذه الهلاوس التي هي بالفعل لا يمكن نسبتها للصحافة من بابه، ويقيني أن هؤلاء يسيئون إلى السلطة الجديدة ذاتها، لأنهم يعطون انطباعا في الخارج أن هذه الخزعبلات والهلاوس تأتي بتوجيه رسمي، وليست مجرد "نفاق" من بعض محدودي الخبرة والكفاءة، هم أشبه بالدبة التي تقتل صاحبها أو تصيبه بعاهة وهي تتصور أنها تدفع الأذى عنه، يا جماعة، أرجوكم، أوقفوا هذه المهانة التي تسيء للجماعة الصحفية المصرية كلها.

جمال سلطان - المصريون

كتاب جديد

انهيار العولمة وإعادة اختراع العالم

جون رالستون سول

ترجمة: محمد الخولي

عرض: د. محمد مورو

سنة النشر: ٢٠٠٩
عدد الصفحات:
٤٩٦ صفحة من القطع المتوسط

الناشر الأجنبي:

The overlook press

New York U.S.A

الناشر العربي:

الدار المصرية اللبنانية - مصر

مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم - دبى

هذا الكتاب انهيار العولمة وإعادة اختراع العالم هو من نوع الرؤية النقدية والاستشرافية لظاهرة العولمة التي يرى المؤلف أنها ظاهرة ضارة أحدثت آثاراً سيئة بالعالم ككل وبالفقراء على وجه الخصوص، ويتوقع المؤلف أن تنهار هذه الظاهرة في غضون عدة سنوات، ولكن المشكلة كما يقول المؤلف أن صعود الظاهرة أضر بالعالم، وسقوطها سوف يضر أيضاً بهذا العالم.

يقع الكتاب في ٤٩٦ صفحة من القطع المتوسط، ويتكون الكتاب من خمسة أجزاء بالإضافة إلى حواشي تضم تعريف بعدد من المصطلحات باللغتين الإنجليزية والعربية، وأجزاء الكتاب الخمسة هي السياق، الصعود، الهضبة،

السقوط، أين نذهب الآن، وفي إطار تلك الأجزاء الخمسة جاء عدد من العناوين الفرعية كالتالي، في الجزء الأول "السياق" جاءت عناوين مثل حية في الفردوس، موجز المستقبل الموعود، الأمر المسكوت عنه، موجز تاريخ الاقتصاد وقد أصبح ديانة، وفي الجزء التالي "الصعود" كانت العناوين الفرعية كالتالي عام ١٩٧١، الفراغ، مضحك الملك، مختارات من الحماس الرومانسي، القوة المتجمعة، الاقتصاد المصلوب، وفي الجزء الثالث "الهضبة" جاءت عناوين مثل النجاح، عام ١٩٩١، أيديولوجية التقدم، عام ١٩٩٥، وفي الجزء الرابع "السقوط" كانت العناوين الفرعية كالتالي معادلة سلبية، المنظمات غير الحكومية والرب، تسلسل زمني للانحدار، الانشقاق الماليزي، نهاية المعتقد، الهند والصين، نيوزلند تنزلق من جديد، وفي الجزء الخامس "وأين نذهب الآن" كانت العناوين هي الفراغ الجديد : فترة فاصلة من علامات الاعتدال، الفراغ الجديد هل عادت الدولة القومية، القومية السلبية، تطبيع الحرب غير النظامية، القومية الإيجابية ثم الحواشي وثبت بأهم التعبيرات والمصطلحات .

المؤلف هو جون رالستون سول، وهو كاتب صحفي وروائي مولود في كندا من أب كندي وأم إنجليزية، حاصل على دكتوراة في الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة لندن، من أهم المفكرين السياسيين الكنديين المعاصرين، يهتم بتحليل تاريخ الحضارة وهيكل السلطة في الغرب، وما يتفرع عن هذه الظواهر من قضايا ثقافية ومعرفية، خاصة فيما يتعلق بما لحق هذه الأوضاع من فساد، تحولت به النظم السياسية إلى خدمة جماعات المصالح واحتكارات القلة على حساب الصالح العام لأوسع قطاعات المواطنين، نال عدد من الجوائز والأوسمة في كل من كندا وفرنسا وشيلي .

والمترجم هو الأستاذ محمد الخولي وهو كبير مترجمين في منظمة الأمم المتحدة وقد عمل بالأمم المتحدة كمترجم لمدة ٢٥ عاماً، وهو حالياً خبير معتمد للترجمة لدى المنظمة الدولية، كما عمل في عدد من المؤسسات الإعلامية في الوطن العربي، درس الأدب الإنجليزي وعلم النفس والتربية وعلوم الاتصال، والاقتصاد السياسي في كليات الآداب والتربية والإعلام في جامعات القاهرة وعين شمس ونيويورك .

الفكرة الرئيسية للكتاب هي تحذير المؤلف من تحول ظاهرة العولمة إلى ما يشبه الأيديولوجية أو العقيدة الدينية حيث المبالغة في الانفلات من النظم والضوابط، بدعوى تحرر التجارة والاقتصاد، مما أدى

إلى إضعاف دور الدولة ومؤسساتها وقوانينها التي تكفل في التحليل الأخير حماية النشاط الاقتصادي للمجتمع من أطماع الأفراد، كما لفت المؤلف من خلال الاستدلال بالأمثلة الواقعية النظر إلى خطورة تكريس النشاط المالي على حساب الإنتاج، واعتبار النقود أصولاً أساسية بدلاً من اعتبارها وسائل للتعامل وأداة للتبادل، مما أدى إلى الأزمة المالية الأخيرة التي أصابت دوائر المال في الولايات المتحدة، وانتقلت تداعياتها إلى مختلف أنحاء العالم.

أهم أفكار الكتاب

- يرى المؤلف أن سبعينيات القرن الماضي كانت بداية هيمنة العوامل الاقتصادية باعتبارها الحقيقة المطلقة، ثم تحولت إلى ما يشبه المعتقد الديني لدرجة أن بعض مروجيها قالوا إنها المحرك الوحيد للتاريخ، وأن التقدم مرتبط بحرية التجارة وحرية السوق وأنه لا سبيل آخر لنمو الثورة إلا هذا الطريق، ومفهوم حرية التجارة هذا يشمل السلع والخدمات والأفكار والقيم والطموحات والإبداعات البشرية.

- أن حرية التجارة اقتضت إضعاف دور الدولة والقوانين والضوابط ودعا البعض إلى إنهاء دور الدولة تماماً واعتبارها كائن منقرض ينتظر الموت.

- اعتبر دعاة العولمة أن القطاع العام قد عفى عليه الزمن وفشل في إدارة الاقتصاد على المستوى المحلي والعالمي، وأن القطاع الخاص أكثر كفاءة، وقد لاحظ المؤلف أن هذه السياسة لم تحقق الوعود الزائفة التي بشر بها دعاة العولمة، بل انتهت إلى جيوب المضاربين وأصحاب رءوس الأموال وأدت إلى زيادة أعداد الفقراء والمهمشين، بل تسببت في تحطيم بنيان عدد من الدول النامية وقد صاحب ذلك تغول الشركات العابرة للقوميات وأصبح بعضها أقوى من الدول القومية، وصاحب ذلك جرائم الفساد والغش والتلاعب، الأمر الذي انتهى أخيراً إلى إفلاس الشركات والبنوك العملاقة، ووقع العالم في أزمة مالية طاحنة لا يعرف حتى الآن كيف يعالجها أو يخرج منها.

- اعتمدت العولمة على عدد من المقومات التي ساعدت على رواجها منها صعود فكرة الليبرالية باعتبارها نهاية التاريخ، وسقوط المنظومة الاشتراكية والاتحاد السوفيتي السابق، والتقدم الهائل في وسائل الاتصال، واستخدمت عدد من مشاهير الدعاة الاقتصاديين والسياسيين وعلماء الاجتماع والإعلام في ترويج تلك الأفكار، ووصل الأمر أحياناً إلى القول إنها رسالة السماء لإنقاذ البشرية !!..

- عمد دعاة العولمة إلى إضعاف الوازع القومي، وتقليص سيادة الدول، واعتبار التمسك بالسيادة الوطنية فكرة قد عفى عليها الزمن .

- ادعى دعاة العولمة أن حرية السوق، والعولمة سوف تؤدي إلى الرخاء للجميع، دولاً وشعوباً وأن هذا سوف يؤدي إلى إنهاء الديكتاتورية وشيوع الديمقراطية، ولكن الذي حدث كان العكس تماماً، حيث زادت أعداد الفقراء والمحرومين ولم يصل الرخاء إلا إلى القلة المتحكمة في رءوس الأموال .

- أدت العولمة إلى تحطيم الكيان القومي لعدد من الدول وتسببت في صراعات عرقية في أكثر من مكان بالعالم، وهناك دول أخرى اكتشفت زيف العولمة فسعت إلى اختيار نموذجها الوطني المناسب مثل نيوزلند والهند وماليزيا والصين وبعض دول أمريكا اللاتينية .

حتمية أيديولوجية

دأب دعاة العولمة على تقديمها للبشرية على أنها حتمية أيديولوجية وأنه لا طريق آخر سواها، وعليك أن تسلم بهذه الحقيقة المزعومة أولاً ثم تناقش ما شئت من تفصيلات بعد ذلك .

يقول المؤلف "إن هالة الحتمية التي ظلت محدقة بالعولمة كانت من القوة لدرجة أنه حتى أهل المهن، الذين كانوا يعارضون في مجموعهم مثل هذه الأيديولوجية صاروا مضطرين إلى أن يبدءوا معارضتهم بإبداء الموافقة، وعلى سبيل المثال هناك اثنان من الاقتصاديين الحاصلين على جائزة نوبل وهما جوزيف ستجلتز الذي يقول "لا نستطيع أن نتراجع عن العولمة فقد جاءت هنا لتبقى والمسألة هي تفعيلها" ثم أمار تياسن الذي يقول "الحل غير المتاح هو ذلك الحل الذي يتعلق بوقف عولمة التجارة والاقتصاد" .

وينتقد المؤلف هذه الحتمية المزعومة قائلاً "إن كثيراً مما يقال بأنه حتمي لا يعدو أن يكون نتيجة مبادرات لغوية ليس إلا" .

ويرى المؤلف أن الوقوع في أسر هذه القناعة يؤدي إلى نتائج وخيمة تماماً .. يقول المؤلف "تأمل كيف فُرض على الميزانيات الوطنية أن تدخل بالحتم، ضمن نمط التخصص المالي عبر السنوات الماضية لتلبي مقتضيات الأسواق الدولية، وقد أدى ذلك في بلد مثل الولايات المتحدة الأمريكية، وهو البلد الذي يعدونه منشأ نظريات الموازنة المالية الحتمية، تركت نفسها لأسوأ حالات العجز بأكثر مما شهده أي بلد على مر التاريخ" .

ثم يقول المؤلف "إن الطابع المرحلي للعولمة يتأتى جزئياً من البراءة أو لنقل

السذاجة الفكرية التي تحيط بالعولمة، وأي شيء أكثر سذاجة من الإيمان بنهج أقرب إلى التجريد إزاء تناول حياة البشر، استناداً إلى توقعات قيادة اقتصادية، تقوم على أساس نظرية وحيدة ومحددة للغاية من نظريات الاقتصاد، وأي شيء أكثر براءة من أن نتوقع أن يقف العالم منتظراً ليرقب النظرية، وهي تشق طريقها دون أن يقاطعها أحد، مع تلبية كل ما تتطلبه، لكي تحقق نجاحاً ؟، والأكثر سذاجة هو : أن ينتظر كل طرف متوقعاً تساقط النتائج أو حتمية تحقيق النجاح، بفضل هذا النهج ومن ثم إعادة تشكيل جميع جوانب حياتنا".

وهذه الحتمية في رأي المؤلف هي كذبة كبرى، يقول المؤلف (إن رغبتنا في التصديق في حتمية الأشياء يمكن تلخيصها على أفضل وجه بوصفها "متوالية الشمس التي لا تغرب قط"، والمشكلة أن الشمس تغرب دائماً) .

عقيدة دينية

يتعامل دعاة العولمة معها وكأنها حقيقة دينية، ويتعجب المؤلف من ذلك قائلاً "لم يكن أحد يدري بإمكانية أن يتحول الاقتصاد ليصبح مصدراً من مصادر الحقيقة الحضارية، وكان على القوم أن ينتظروا حتى يقول البعض بموت المعبود، وبعدها يشرع قادة ومهنيون وقطاعات شتى في المخاطرة بطرح أنفسهم، وكأنهم خلفاء للرب المعبود على سطح الأرض" .

ويقول المؤلف "إن ما نكتشفه في أنماط التبشير بالعولمة هو نوع من القناعات أولاها تتمثل في النزعة الدولية الاقتصادية التي تعبر عنها صراحة التجارة الحرة وهذا اعتقاد راسخ تشوبه مسحة بروتستانتية وتوراتية، وهذا هو العامل الذي يدفع الأفراد الأسوياء إلى أن يبادروا بصراحة لكي يعتنقوه ويبشروا به، القناعة الثانية أكثر تنوعاً وربما جاءت محصلة للأولى، وهي تتعلق بالأمر البدهي، بمعنى أنها القناعة التي لا بد من التسليم بها، فالاعتقاد قائم وموجود، ولكن الأمر كله يتطلب فقط معبداً تتردد في جنباته تراتيل المتعبدين" .

وقد استخدم أنصار العولمة لغة دينية تماماً في الحوار مع الآخرين أو في نشر أفكارهم يصفها المؤلف بأنها اللغة الدينية الجديدة بمعنى لغة الاختصاصي المتجرد الذي ينهض وقد أحدقت به كتائب تبدو في إهاب قرائن تستند إلى حقائق: كان ذلك سلوكاً جيزوتياً ولكنه قابل لتفسيرات شعبوية، وما عليك سوى أن تتعامل معه على أنه نسخة معدلة من شعار "إلى الأمام أيها الجنود المسيحيون"، وكأنها

حقائق تقول إن الرب كفيل بسحق الكفرة المارقين، حيث يتجلى المنطق المطلق الذي سبق واتبعه كوبدن مدعياً امتلاك زمام الحقيقة والسيطرة على قوى الحتم التي تشق طريقها بلا هوادة، ويرى كوبدن وهو أحد مفكري العولمة "إن أي قانون يعارض العولمة إنما يتدخل في حكمة العناية الإلهية، ويحل قانون الأشرار محل قانون الطبيعة" .. ويصل الأمر إلى أن يقول فرنسيس فوكوياما بنهاية التاريخ وأن "ثمة عملية أساسية تفعل فعلها وتفرض نمطاً مشتركاً من التطور على جميع المجتمعات".

ويستشهد المؤلف برأي الفيلسوف جورج شتاينر، بأن ما يحدث اليوم هو أصولية تتحرك بخطى عمياء، وأنها أصولية دينية اقتصادية شبيهة بنزعة السكولستين التي شهدتها أوروبا في العصور الوسطى" .

الفجر الكاذب

الذين روجوا للعولمة قالوا إنها ستؤدي إلى رخاء العالم كله، وتقليل عدد الفقراء وحل أزمة الديون وأن هذه أحلام تقتضي التضحية بنمط الدولة القومية أو التركيب التقليدي للنقابات والمؤسسات الوطنية، ولكن بعد عقدين من ظهور العولمة، كانت المحصلة مؤسفة .. يقول المؤلف "كانت النتيجة هو الوصول باقتصاديات معظم الدول وخاصة دول أفريقيا وأمريكا اللاتينية وبعض دول آسيا إلى حالة من التوقف، ومعظمها لا يزال حتى الآن شبه متوقف لما يقرب من ٢٠ سنة" .

ويضرب المؤلف عدداً من الأمثلة استناداً إلى إحصائيات رقمية قائلاً "في الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٨٠ أي قبل العولمة ارتفع نصيب الفرد مثلاً في أمريكا اللاتينية بنسبة ١٢,٤٪ سنوياً أما في الأعوام من ١٩٨٠ إلى عام ٢٠٠٠ "أعوام ذروة العولمة" انخفضت تلك النسبة إلى ٠,٤٪، وفي أفريقيا ارتفع في الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٨٠ بنسبة ١,٨٪ وما لبث أن انخفض في الفترة من ١٩٨٠ إلى عام ٢٠٠٠ بنسبة ٦,٢٪" .

وهناك إحصاءات بغير حصر لهذا النوع وكلها تحمل الرسالة نفسها، أن حقبة العولمة دمرت أصقاعاً واسعة النطاق في العالم، وأشد الأرقام إيلاماً تقول لنا أولاً أنه بحلول التسعينات كانت أفقر البلدان تنوء بديون لم تكن قادرة على خدمتها، إلا بأن تدمر نفسها، وتقول ثانياً : إن هذه الديون لم يطرأ عليها تغيير حقيقي حتى اليوم رغم ما يثار في الغرب من أحاديث، وما يطرح من طائفة واسعة النطاق من الحلول الجزئية، وفي كل الأحوال فقد تدهورت الأحوال السياسية والاجتماعية،

وتم تخفيض البرامج الصحية والتعليمية، حيث إن القاعدة الدولية المطبقة، أو هكذا تبدو، أن المتاح ليس سوى حيز ضئيل لتنفيذ مثل هذه البرامج، إذا كان الأمر يقتضي خدمة الديون.

وفاة العولمة

يحدد المؤلف عام ٢٠٠٣ بأنه عام انكشاف زيف العولمة، وخروج عدد من الدول والرؤساء على هذا النظام أمثال الهند وماليزيا والصين والبرازيل، ومن ثم إعادة الاعتبار للنزعة الوطنية والقومية، وأنه بحلول عام ٢٠٠٥ كان قد تم التأكد من وفاة العولمة، ويضع المؤلف لذلك عنواناً هو النهاية المعلنة للعولمة، ومنذ عام ٢٠٠١ تزايدت أخبار الانهيار الاقتصادي حيث أصاب التدهور الحاد الأعمال التجارية التي تستخدم التكنولوجيا الرفيعة على مستوى العالم، وكانت قطاعات الحواسيب الإليكترونية في أسوأ أحوالها رغم حياتها القصيرة، وكذلك قطاعات السفر الجوي حتى في ضوء معاييره الكارثية، وبعد تحريره من أي ضوابط، وكان تسريح الموظفين في كل الاتجاهات، وثبت خطأ القول القائل بأن الشركات عبر الوطنية أصبحت هي الدول القومية الجديدة، وقد عادت الحكومات التي تسلمت مقاليد الدول القومية، عادت من جديد لتتسلم مقاليد السلطة، وتجرأ مهاتير محمد رئيس ماليزيا عام ٢٠٠٣ حيث أسهب في نقد سياسات العولمة وتباهى بنجاح ماليزيا عقب اتباعها نموذجاً وطنياً، لم تعد العولمة ديناً جديداً، أو حتمية أيديولوجية، بل مجرد تجربة فاشلة تخضع للنقد، وعلى المنوال نفسه قال دي سيلفا رئيس البرازيل إن هناك نوعاً جديداً من الشعبوية المستندة إلى الدولة القومية، ومرة كان ذلك رفضاً للحكمة التقليدية للعولمة، وبعبارة أخرى أعلنت النماذج الحديثة من الديمقراطية أن الحكم الأخير للدولة القومية وليس للاقتصاد وأن الدولة القومية والمصلحة الوطنية والمحلي مقابل العولمي هي النهج الذي نستند إليه كمنظور نطل منه لكي نتعامل مع الإجراءات الدولية. وبحلول ٢٠٠٥ اختزلت تماماً الافتراضات القديمة بحتمية الاقتصاد وتبدد بشكل عام ذلك الإيمان بقيادة الشركات ثم عودة السياسة لكي تملأ الفراغ.

بعد تزايد معدلات الانتحار

القرآن ... أقوى علاج لحالات الاكتئاب البشرى

تحقيق: أحمد شيخون

أكد علماء دين واجتماع علي أن القران الكريم هو العلاج الأمثل والأقوى لمواجهة تزايد حالات الانتحار التي تزايدت بشكل ملحوظ في مصر وبعض الدول العربية في الآونة الأخيرة .

وأشاروا في كلامهم لمجلة المختار الإسلامي إلى أن القرآن يملك عصا سحرية لتهدئة النفوس وبعث الطمأنينه لقلب كل مسلم للثقة بالله خاصة أننا كنا منذ أيام مع شهر رمضان الكريم الذي يظلنا الله بنفحات من عنده، ولذلك فإن التمسك بالقرآن يغلق الباب أمام الشيطان للدخول إلى عقل وقلب الإنسان ..

وكانت الأخبار التي تُنشر يوميا علي صفحات الجرائد مع تزايد حالات الانتحار الناجمة عن قلة الإيمان أو ضيق مادي مؤقت أمرا ملفتًا للأنظار مما جعل مطالبة رجال الدين والاجتماع بالتصدي لهذه الظاهرة وإيجاد حلول مناسبة لها فرض عين عليهم.

في البداية يقول الدكتور محمد المختار المهدي الرئيس العام للجميعة الشرعية بمصر أنه لاشك أن الشاب المبتدئ يشعر باكتئاب وضيق شديد

وربما اختناق من الحياة ويشعر بشيء من الصدود عن حركة الحياة وربما يكفي أن بعضهم يعزف عن العمل وفق نظام المشاركة زاعما بأن الناس لم يعودوا أمناء ومنهم مع الأسف من يعزف عن الزواج بوهم أنه لم يعد هناك من شاب صالح ولا من فتاة علي خلق كريم، وتلك مأساة كبيرة وكارثة لا تقل خطرا عن كوارث الطبيعة المدمرة ؛ لأن تحطيم نفس الإنسان أعظم خطرا من تحطيم البلاد والشجر والدواب .

ويضيف المهدي أن الله عز وجل لم يخلق الناس علي قلب رجل واحد وإنما قال في سورة التغابن ﴿ فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾ ، فلا ينكر أن يكون في الناس كافر، كما لا ينكر أن يكون فيهم مؤمن، وللكافر عمله وخلقه وللمؤمن عمله وخلقه..

ويشير أن للنبي الكريم العديد من المواقف التي تؤكد علي التمسك والثقة بالله لا الاكتئاب أو الحزن والحزن منها عندما كان أحد الصحابة الكرام جالساً في مسجد في غير وقت الصلاة فسأله النبي عن سبب ذلك فأخبره بأنه يعاني الهم والدين، وطبعاً النبي لم يترك أصحابه هكذا دون إرشاد أو علاج، فعلمه دعاء عظيماً فقال : "اللهم إني أعوذ بك من الهمّ والحَزَن، ومن العجز والكسل ومن الجُبن والبُخل، ومن غَلَبة الدَّين وقهر الرجال" يقول الصحابي : لم تمض إلا بضعة أيام حتى أذهب الله عني همّي وقضى عني دَيني .

أما الدكتورة آمنه نصير أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية بجامعة الأزهر فتقول إن الله عز وجل أعطي لكل منا نصيبا من النعم، يقول الله تعالي : ﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم علي بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما ﴾ ، ولذلك فإن الحالات التي تعتري المسلم يجب عليه أن يقف أمامها ويفكر ويصل إلى قناعة أن الله سبحانة وتعالي أعطاه حقه غير منقوص مما

يستدعي منه عدم الضجر أو فتح باب الشيطان عليه مما يوقعه فيما يغضب الله ولذلك فاللجوء إلى القرآن هو أقوى سلاح يمكن أن يجنبك الوقوع في هذه المحرمات .

وتضيف أستاذ الفلسفة الاسلامية أن الإسلام نهي عن التمني وفي الوقت نفسه فتح باب السؤال للمولى عز وجل ومعني ذلك أنه حول الدفة من باب إلي باب ومن مسار إلي مسار بمعني أنك إذا رأيت نعمة عند أحد فلا تضغط علي شفتيك ولا علي ضرسك ولا تتمنى أن تنقل تلك النعمة إليك، ولكن اسأل الله الذي أعطى هذا الإنسان تلك النعمة أن يعطيك، فالله عز وجل يقول ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ .

ويشير الدكتوره عزة كريم - أستاذ علم الاجتماع بالمركز القومي للبحوث الجنائية والاجتماعية - إلى أن تزايد حالات الانتحار يعود إلى ضعف الوازع الديني في بعض البيوت إضافة لحالات التفكك التي تعانيها الأسر نتيجة الجري وراء لقمة العيش ، فالأب لا يرى أبناءه مرة كل شهر أو أسبوع ، والأم منشغلة دائما بأعمال البيت ووظيفتها إن كانت تعمل ولا تعرف حالة ابنها او بنتها مما أدي الي حالات التفسخ التي نراها الآن فأصبح الأولاد عرضة للمصائد الخارجية .

ونبهت الدكتوره عزة إلى ضرورة أن تعود الأسرة لسابق عهدها متمسكة ببعضها وبكتاب الله الذي أعطى شرح ووضح أن الله سبحانه وتعلي هو المنعم علي عباده ومقسم الأرزاق الذي لم ينس أحد .

وشدد أستاذ الاجتماع إلى أننا لانزال لدينا شحنات إيمانية من شهر رمضان وعلينا استغلالها جيدا في التقرب إلى الله ومعرفة أسباب الرزق والسعي عليها وطرد كافة الوساوس التي يسيطر بها الشيطان علي الإنسان مما يوقعه في الانتحار أو الاكتئاب وخلافه من الأمراض النفسية والاجتماعية فالقرآن الكريم أوصى بعدم الحزن عندما خاطب المؤمنين بقوله :

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ، فهذه الآية تأمر المؤمنين بألا يحزنوا أو يضعفوا أمام الضغوط التي يتعرضون لها من أعدائهم، ويؤكد الله لهم أنهم هم الأعلون، ولكن بشرط أن يكونوا مؤمنين .

ويختتم كلامه بالتأكيد علي أن إحساس المؤمن بالقرب من الله تعالى هو أقوى سلاح في مقاومة الاكتئاب، وهذه هي سيدتنا مريم أثناء حملها يناديها الله تعالى ويأمرها بأن تقر عينها ولا تحزن : ﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًا ﴾ .

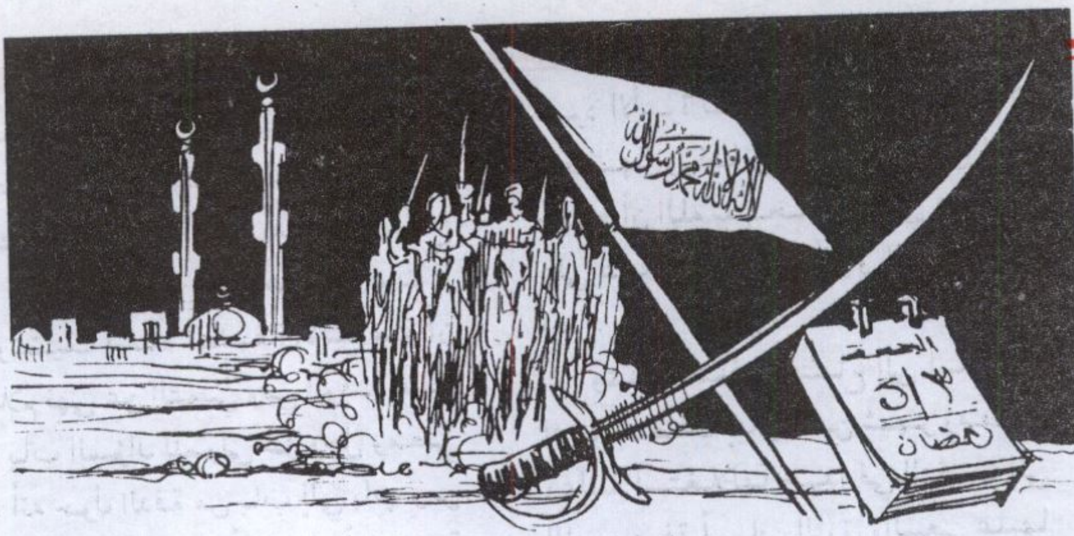

رجال الله

د. نجيب الكيلانى

ألقت (فاطمة بنت الوليد) بنظرها خارج الخباء ، وأطالت النظر فيما حولها مفتونة بروعة المناظر ، وجمال الطبيعة وجلالها .. إن بلاد الشام رائعة حقا ، حتى لكأنها قطعة من الجنة التي وعد الله بها عباده المؤمنين ، وملأت فاطمة رئتيها بالهواء الرطب العليل ثم عادت أدراجها إلى حيث كانت تجلس من قبل لتواصل إنضاج الطعام الموضوع فى قدر فوق النار ، وهى تغمغم بأرجوزة عربية مشهورة ، تروى عن الجهاد الأكبر وانتصار جيوش المسلمين بقيادة أخيها خالد على جيوش الرومان .

ولم تكد فاطمة تنتهى من أرجوزتها حتى أحست بدبيب خطوات عجلى تدلف إلى الخباء وقبل أن تدير وجهها لترى من الداخل تناهى إلى سمعها صوت إحدى صويحباتها وهى تقول :

- (أبشرى يا ابنة الوليد .. إنه ليوم عظيم حقاً) .

فقالت فاطمة فى لهفة :

- (ماذا تعنين يا أختاه) ؟..

فأجابت :

- (أوه يا فاطمة ، إنى لا أعنى غير شئ واحد ، وهل يفكر نساؤنا ورجالنا فى غير الحرب ؟..

فتركت فاطمة القدر والنار المشتعلة تحته وتوجهت بكليتها إلى صديقتها وقد غمر البشر قسمات وجهها وبرقت السعادة فى

عينيها وهى تقول :
- أعلم ذلك ..
- واعلمي أيضا أن جيوشنا قد تخطت أسوار دمشق ففتحت المدينة أبوابها لموكب الحرية والنور والإيمان ...
فطغت على فاطمة موجة غريبة من الفرح وهتفت : أحق ما تقولين ؟..
- ليس هنالك ظلال من شك فيما أرويه يا فاطمة ، وبعد لحظات قصار سوف تسمعين تكبيرات النصر وهى تملأ الآفاق إيذانا بالنصر الجديد .
فأقبلت فاطمة على صديقتها تقبلها وتشكرها على هذه البشرى العظيمة التى طال ترقبها لها وقالت :
- أعذريني يا أختاه ، إنه لنبأ كبير حقا ، لقد طال حصارنا لهذه المدينة الحصينة حتى كاد اليأس يتسرب إلى نفسى ، إن الرومان لا يسلمون لنا أنفسهم وديارهم بهذه السهولة واليسر ...
- صدقت .. ولكن لا تنسى أنهم قوم ظالمون مستغلون وأهالى البلاد هنا لا يمكن أن يدافعوا عن قوم أذاقوهم الهوان والعسف .
- أجل يا أخت ، إن الرومان يحاربون بلا هدف ، أو قولى إنهم يموتون فى سبيل مجد زائف ، أما نحن فنبذل دماءنا من أجل شئ كبير نؤمن به ..
فابتسمت الصديقة ابتسامة ذات معنى ثم همست قائلة :
- آه يا فاطمة لو تسمعين ما يُقال لأخيك خالد من مديح وثناء ، إنه سيف الله بلا منازع .. بطل قمع الردة وفاتح العراقين ، وهازم الرومان فى أرباض دمشق .. لكم الفخر يا آل الوليد ، لقد بنى لكم خالد مجدا على الدهر ، لا تبلى جدته ، ولا تزول آثاره ...
فأجابت فاطمة فى تواضع ظاهر :
- إننا نصول ونجول بروح الله يارفيقة ولا مجد لنا كأفراد ولكن المجد والخلود لدين الله ، وللإسلام الذى أخرجنا من الظلمات إلى النور ، وخرج بنا من ضيق الجزيرة وانعزالها إلى هذا العالم الكبير الواسع لندعو ونحرر وننشر النور.
ولم تكد فاطمة بنت الوليد تكمل عبارتها حتى سمعت تكبيرات النصر تنساب من بعيد فتجاوبها صيحات التهليل من كل مكان فى معسكر المسلمين ، وخرج الأطفال والفتيان ومن بقي من الرجال يهزجون بالأشعار والأراجيز ، ويلعبون بالسيوف والرماح ، ويثبون هنا وهناك فى فرح غامر .. بينما انتحت فئة ثانية من الرجال ناحية أخرى وأخذوا يؤدون صلاة الشكر لله من أجل هذا النصر المؤزر ، الذى طال ترقبهم له ، وجلس البعض الآخر يفكر فى المعركة القادمة ويضع الخطط لزحف جديد تتسع به رقعة الإسلام ، وتنتشر به كلمة الحق ..
وأسرعت الصديقتان نحو باب الخباء لتمتعا نظريهما بهذه المواكب المبتهجة ، وتسعدا بساعات النصر الغالية ، ولم

تتمالك فاطمة نفسها أن قالت :
- من مبلغ الخليفة عنا بهذا النصر العظيم .. لكم تمنيت يا أختاه أن يكون لى جناحان فأطير بهما إلى أبى بكر كى أحمل إليه نبأ الفتح الذى رُزقنا به ..
- لا تقلقى من أجل ذلك ، إن لم نرسل الرسل إلى الخليفة فسوف تستبشر الركبان بهذا النصر ، وتتغنى به فى كل مكان .
وبعد فترة صمت قالت فاطمة فى شرود :
- واشوقاه .....
- إلى الديار البعيدة !!..
أجل ...
صدقت يا فاطمة .. لقد طالت بنا الغربة ولم تستطيع بهجة الشام ، ونضرة أراضيه أن تنسينا ديارنا رغم جفافها وجدبها ...
الوطن غال .. يدفعنا إليه حنين ، وتشدنا إليه ذكرى ، لكن ماذا أقول ؟!..
يجب أن تعلمى أن عزاءنا الوحيد هو أن غربتنا من أجل الله وكفى ...
وبات جليا أن انتصارات المسلمين الكبرى قد بثت الذعر فى نفوس الأعداء ، وكان ذكر هذه الانتصارات مقترنا دائما باسم خالد بن الوليد ، وأصبح اسمه هو الآخر كافيا لأن يثير الاضطراب والهلع فى قلب العدو وعلم جنود المسلمين - بل أيقنوا - أن وجود خالد على رأسهم بشير بالنصر ، وباعث للثقة ، وخُيل إلى الجميع أنه رجل الساعة بلا منازع ، وأنه خير من حمل اللواء ، وأنه لا يقل أهمية وعظم منزلة عن الخليفة نفسه ، وأوشك بعض المفتونين أن تتغير نفوسهم ، وينقلب إيمانهم بالمثل والمبادئ إلى إعجاب بالشخصية وتقديس لها ، وفى الصراع الدامى ، والحرب التى لا تفتر سارت الأمور دون أن يلتفت أحد إلى هذا التطور الخطير .. وخالد ماض فى طريقه لا يفكر إلا فى رسم الخطط ، وتدبير المعارك وتصريف الأمور فى البلاد المفتوحة ، ولا يفتأ بين لحظة وأخرى أن يرفع بصره إلى السماء شاكراً الله على ما وهبه من توفيق ، وما حقق على يديه من نصر .
فجأة ساد الصمت والوجوم ... وخفتت الصيحات رويدا رويدا .. ثم اختفت ..
حتى الأطفال الصغار كفوا عن اللعب والترنم بالأهازيج والأغانى ...
وأخذ الرجال يتحلقون فى أماكن مختلفة وعلى وجوههم أسف وحزن .. والحيرة والقلق يسيطران على الجميع ...
ترى ماذا حدث ..
هل هناك جديد بشأن المعركة ؟!..
هل تغيرت النتيجة فتحول النصر إلى هزيمة وأوصدت دمشق أبوابها فى وجوه المنتصرين الأبطال ! أم أن أحد الأبطال القواد قد قضى نحبه شهيدا فترك وراءه الحزن والأسى !..
وصارت فاطمة فى حيرة من أمرها ، وأخذت ضربات قلبها تتسارع إشفاقاً وخوفا وصديقتها بجوارها قد استولت عليها الدهشة أيضا .
قالت فاطمة وقلبها يرتجف :

- ماذا هنالك يا أختاه .

- لا أدرى ، لكن قلبى ينبئنى أنه خطب جلل ... قلبى لا يكذبنى أبداً ..

وفكرت فاطمة فى أن تبعث بصديقتها لتستجلى حقيقة الأمر ، وتعود بالخبر اليقين غير أنهما فوجئتا بخالد بن الوليد يقبل فى هذه اللحظة مستأذنا فى الدخول فتوارت الصديقة بينما برزت إليه أخته فاطمة واستقبلته فى لهفة غامرة حامدة الله على سلامته ثم هنأته بالنصر الذى أحرزه فى كلمات سريعة مضطربة ، ولم تستطع أن تخفى قلقها على هذه الظاهرة التى تبدو فى المعسكر منذ لحظات ...

وألقى خالد بنجاد سيفه فى ركن من أركان الخيمة ثم غمغم وقطرات العرق تتقاطر على جبهته السمراء .

- جرعة ماء يا فاطمة .. إن الظمأ يكاد يقتلنى ...

وتكلمت فاطمة وهى تقدم له الماء :

- هل جد جديد ! أراك متغير السحنة ، ثم إن المعسكر يسوده الوجوم منذ لحظات .

فأسلمها خالد إناء الماء ، وصمت برهة ثم قال وقد تبللت عيناه بالدموع .

- وردت إلينا أنباء تقول إن الخليفة قد ذهب إلى الرفيق الأعلى ...

فصرخت فاطمة على الرغم منها :

أمات أبو بكر ؟..

- أجل يا فاطمة .. مات ونحن أحوج ما نكون إليه .. ألسنا ننازل الآن أقوى دولتين فى الدنيا ، الفرس والرومان ؟؟..

فأطرقت فاطمة وقد انسابت دموعها وقالت:

- فليرحمه الله ... أدى الأمانة وحمى الديار وجدع أنف المرتدين ، وقضى على الفتنة ثم رمى بنا فى شتى أنحاء الدنيا لنحقق كلمة الله فى الأرض .. له الجنة .

وظلت الدموع تنهمر من عينى فاطمة .. لكن ماذا يجدى البكاء والنحيب ، وقد حم القضاء ، ونفذ قدر الله ، وتحققت سنته التى لا فرار منها ولا فكاك ؟.. صحيح أن المصاب فى أبى بكر فادح والفاجعة فيه لا تضارعها فاجعة وخاصة فى هذا الوقت العصيب بالذات لكن لا حيلة فيما أراد الله ...

وفكرت فاطمة فيمن سيخلف أبا بكر ، وتساءلت بينها وبين نفسها عن مدى كفاءة الخليفة الجديد ، وهل سيحمل العبء بشجاعة وإيمان مثلما فعل أبو بكر ؟.. وهل سيحقق الله على يديه النصر ؟.. وهمت أن تسأل أخاها عن ذلك كله ، لكنها استحت أن تثير مثل هذه الخواطر فى وقت لا يفكر فيه الناس - على ما يبدو - إلا فى المصاب الفادح الذى نزل بهم ، واختطف أبا بكر من بينهم .

وقبل أن تترك فاطمة مكانها سمعت أخاها يقول :

- وأوصى أبو بكر قبل موته بأن يخلفه عمر بن الخطاب ..

- فقالت فاطمة فى دهشة : عمر ...

- أجل ...

- لكن ...
- لكن ماذا يا فاطمة ...
- أعنى أن فيه شدة ...
- وهل حكم الناس يكون عن طريق التفريط والتهاون ؟..
- ثم إنه يا خالد يحمل لك فى نفسه شيئا منذ زمن بعيد ...
فقال خالد فى لهجة صارمة تحمل فى ثناياها شيئا من اللوم الواضح .
لا تنسي يا فاطمة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : جعل الحق على لسان عمر ، وتقويم الرجال يا فاطمة يجب إلا يخضع لعواطفنا ، ورغباتنا الشخصية ...
وسكتت فاطمة .
لقد كبر أخوها فى عينيها أكثر من ذى قبل.
إن أخاها قائد يفهم واجبات القيادة وفى نفس الوقت جندى يفهم أصول السمع والطاعة ولا يحمل لخليفته - رغم مابينهما - إلا الثقة والحب والتقدير ، لأن الغاية الكبيرة التى تجمعهما لا تدع فرصة للمطامع الشخصية أن تتسلل بينهما بالتفرقة والعداء ، وفى الواقع لم يكن خالد يفكر بعد ذلك إلا فى مواصلة الزحف وتطهير دمشق وما حولها من الأعداء.
لم يكن خالد يعلم أن هناك رسالة أخرى قد وصلت من الخليفة عمر بن الخطاب ، ومن البديهى أنه لم يكن يعرف - تبعا لذلك - ما تحويه هذه الرسالة الخطيرة ولم يكن أحد يتصور أن يحدث ذلك فى هذا الوقت بالذات لأنه يموج بالأحداث الجسام ، والأعجب من ذلك أن (أبا عبيدة الجراح) قد كتم أمر هذه الرسالة عن خالد أمير الجيش ، ولم يكن أبو عبيدة فى هذا الوقت إلا أمير لواء من ألوية الجيش ...
وظل أمر الرسالة مطويا عن الجميع حتى انتهى المسلمون من أمر الرومان فى دمشق وارساء قواعد العهد الجديد فى المدينة ، وما إن استتب الأمر ، وهدأت الأحوال حتى أقبل أبو عبيدة على خالد ، وفى يده الرسالة التى بعث بها عمر ...
كان أبو عبيدة مترددا .
فالواجب يدفعه دفعا لأن ينفذ أوامر الخليفة الجديد دون إبطاء ، وحبه لخالد وتقديره لبطولاته تمنعه من أن يصرح بالحقيقة الرهيبة .. أيقول لخالد ، إن الخليفة قد عزلك وأنت فى أوج مجدك ؟!.. والأقسى من ذلك أن أمير الجيش الجديد سيكون أبا عبيدة نفسه .. يا له من موقف صعب ...
وزاد من صعوبته أن خالدا إنسان كبير وأن أبا عبيدة هو الآخر رجل فاضل بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ...
ولم يجد أبو عبيدة مناصا من أن ينفض ما بقلبه فى محضر خالد .. وفى تواضع وتأثر همس أبو عبيدة بفحوى الرسالة التى بعث بها عمر فتقبل خالد الأمر بهدوء وكأن لم يحدث حدث ضخم .
لقد كان يجاهد فى سبيل الله ، وهو قائد للجيش كله والآن لم يعد كما كان ،

لم يكن هذا يمنع من أن يظل مجاهدا فى سبيل الله - فليحمل سيفه ، وليمض فى طريقه .. فالحرب هى الحرب ...

وكلمة الحق التى يحملونها جميعا لم تتبدل.

والغاية الكبيرة التى يعمل لها الجنود ما زالت تنير الطريق ، ولا ضير أن يكون خالد جنديا أو قائداً ، وأمير المؤمنين يجب أن يكون مُطاع الأمر ومسموع الكلمة والفترة الحرجة التى تمر بها الدولة الوليدة يجب أن تتسم بالهدوء والثقة وإنكار الذات .

وبعد فترة صمت قال خالد لأبى عبيدة :

.- يرحمك الله ... ما منعك أن تعلمنى حين جاءك الأمر ؟..

وأجابه أبو عبيدة :

- إنى كرهت أن أكسر عليك حربك ، وما سلطان الدنيا أريد ولا للدنيا أعمل ، وكل ما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع ، وإنما نحن إخوان ، وما يضير الرجل أن يليه أخوه فى دينه ودنياه ...

وتناثرت الشائعات والوشايات والفتن لم يستمع خالد لأقاويل الوشاة ، ولم يلق بالا لأولئك الذين حرضوه على التمرد والعصيان وصرف النظر عن همسات الإثم التى تفوه بها المفتونون بمجده وبطولاته ، والتى تنفثها الشياطين بين الجموع ، وحينما قالت له أخته فاطمة :

- كان قلبى يحدثنى أن ابن الخطاب سوف يفعلها ويعزلك .. ولم يعلق على حديثها بشئ

وفى الصباح التالى كان أبو عبيدة على رأس الجيش مكان خالد .. بينما حمل خالد سيفه ومشى خلفه أطوع من بنانه ، وليس فى قلبه مثقال ذرة من حقد أو تمرد عند ئذ نظرت فاطمة إلى أخيها فى إعجاب وتقدير ثم نظرت إلى أبى عبيدة فى غير ما سخيمة أو أسف ثم غمغمت فى تأثر ...

الله أكبر ... لكم النصر أينما سرتم أيها المؤمنون .. يا رجال الله ...

د. نجيب الكيلانى

رسالة المغرب:

انغير بوبكر:

إفشال حكومة العدالة والتنمية مصادرة للديمقراطية ومخاطرة بمستقبل البلاد

منذ وصول حزب العدالة والتنمية إلى سدة الحكومة - وليس الحكم بطبيعة الحال - بالمغرب في انتخابات ٢٥ نوفمبر ٢٠١١ وهي الانتخابات التي اعتبرت الأكثر ديموقراطية وشفافية في تاريخ المغرب حتى توالت المقاومات العنيفة لهذه التجربة الفتية التي ينتظر منها الشعب المغربي المصوت لها أن تنقل المغرب نقلة نوعية من واقع الفساد المستشري والإدارة المريضة والحكم غير الرشيد وغياب الحكومة والتهرب الضريبي وغيرها من صنوف الآفات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تنخر مجتمعنا المغربي الذي سئم من الحكومات المتعاقبة والتي نهبت المال العام وأفسدت السياسة المغربية وخلقت جوا من العزوف السياسي غير المسبوق توج باستحقاقات ٢٠٠٧ التي أشرت على عزوف المواطنين المغاربة عن العملية السياسية برمتها وصوت فقط أقل من ٢٠ في المئة على برلمان ٢٠٠٧ وكان ذلك مؤشراً قويًا على ان الشعب المغربي بقدر امتعاضه من السياسات المتبعة بقدر فهمه العميق المتزايد ووعيه الشقي والعصامي بتلابيب التحكم السياسي الذي باتت تشهده الحركة السياسية ببلادنا آنذاك وإلى الآن، حكومة العدالة والتنمية التي جاء بها الربيع الديموقراطي المغربي كان إجابة جزئيبة عن هذا الوعي المتزايد لدى المواطنين والمواطنات المغاربة الذين عبروا بدعمهم لحزب العدالة والتنمية عن رغبتهم الأكيدة في تغيير الأوضاع وإصلاح ما يجب إصلاحه قبل فوات الآوان لكن ثمة من يفكر في الليل والنهار على معاقبة المغاربة على اختيارهم الديموقراطي باختلافنا معه أو باتفاقنا لا يهم .. المهم أن الشعب المغربي اختار حزبا معينا فالأولى احترام قرارات الشعب المغربي لا البحث عن تضليله تارة أو معاقبته على اختياراته تارة أخرى، مقصود الكلام أن حكومة العدالة والتنمية صحيح انها انقلبت على حركة ٢٠ فبراير المغربية، وهذا خطأ سياسي كبير سوف تؤدي ثمنه باهظا بطبيعة الحال لأن المعادلة التاريخية تقول من فرط بحلفائه يسهل التفريط فيه، لكن هذه الحكومة يتزعمها حزب سياسي هو الأكثر تنظيما في المغرب والأكثر تواجدا وقربا من المواطنين وقبل هذا وذاك هو الحزب الأكثر نظافة وشفافية .. أعرف

أن هذا التقييم سيجلب علي من الانتقادات الشئ الكثير ولكن لأن الحقيقة هي منهجي وقناعاتي أصرفها ولا انتظر من يتفق معي فيها فإني اعتبر حزب العدالة والتنمية أخف الأضرار بالنسبة للمغاربة، صحيح أنه حزب مهادن إلى درجة الخنوع وصحيح كذلك أنه حزب يتبنى تقية سياسية تصل في بعض المرات إلى درجة النفاق السياسي في تعامله مع حلفائه الحكوميين وغير الحكوميين ولكن هو حزب نظيف وخطابه ذو مصداقية ولا يجيش الناس بالمقابل في التظاهرات ولا في المؤتمرات ولا تؤبد قياداته السياسية في الكراسي القيادية كما هو الشأن مع بعض المركزيات النقابية المنتقدة للحكومة والتي لا تستطيع حتى أن تغير ديناصوراتها في القيادة حيث معدل العمر يتجاوز أحيانا ٧٣ سنة .. وقد نختلف مع أسلوب الأستاذ الرميد إلى درجة القطيعة في تعامله مع العمل النقابي وقد نختلف معه في إقصائنا من الحوار الوطني حول العدالة وقد نختلف مع الوزير الشوباني في إقصائه لنا من حوار المجتمع المدني وقد نختلف مع الأستاذ عبد الله بنكيران في أمور كثيرة منها تنازلاته الكثيرة عن اختصاصاته وعدم تفعيل الدستور بالشكل المطلوب وإطلاقه المقولة المشهورة عفا الله عما سلف وفي مصادرته لحق المفكر الأمازيغي أحمد عصيد - الذي أعلنا تضامننا المطلق واللا مشروط معه ضد خفافيش الظلام ودعاة التكفير - وقد نختلف مع الدكتور العثماني في إقصاء وزارته لنا كفعاليات مدنية في الديبلوماسية الموازية للدفاع عن الوحدة الترابية لمملكتنا السعيدة؛ وقد نخالفه الرأي في طريق تدبيره للديبلوماسية الرسمية ولكن .. ولكن .. لا يمكن بتاتا والرأي يلزمني - بطبيعة الحال - أن أقول بأن الرميد والشوباني وبنكيران والعثماني مع حفظ الالقاب مثل الوزراء السابقين في نزاهتهم وصدقيتهم واخلاقهم بل حدود التفكير في ذلك شبهة أنهم شرفاء ومفخرة للمغرب ونموذج للوزراء المخلصين النزهاء الذين لا تشوب أرصدتهم البنكية شوائب أو شبهات رغم أن الله عز وجل هو الذي يعلم ما تخفي الصدور والأرصدة، فإن انطباعي ومعرفتي القريبة ببعضهم زكت لدي هذا الاعتقاد والذي أظنه صائبا.

الهدف من هذه المرافعة لصالح وزراء العدالة والتنمية داخل الحكومة ليست دفاعا عن الحزب أو عن شخوص وزرائه فأعمالهم تدل عليهم، ولكن الهدف منها هو حماية الوطن - المغرب - مما يُحاك ضده في الليل والنهار في أروقة مظلمة وسراديب عميقة.

التفكير والتخطيط للانقلاب عاى حكومة العدالة والتنمية ستكون عواقبه وخيمة على المسار الديموقراطي المغربي المتعثر أصلا وسيعزز من فرص التطرف والفوضى السياسية التي نحن في غنى

عنها، فالوضعية السياسية التي نعيشها اليوم التي تتسم بالاستقرار الأمني والاجتماعي لن نعرف قيمتها إلا بعد أن تعوزنا ونفتقدها وبعد فوات الآوان وسيخسر المغرب بكل تفاصيله وطبقاته الاجتماعية والسياسية وسيتمنى الأيام الخوالي الآمنة بدون نتيجة، حكومة العدالة والتنمية تؤدى دور الإطفائي الكبير اليوم ودور التوازن السياسي في المجتمع ولكن ذلك لن يستمر إذا ما واصل "كان وأخواتها" بلغة عبد القادر الشاوي هجومهم المنهج والمنسق من أجل اسقاط حكومة الأستاذ عبد اله بنكيران مستعملين لغات مختلفة ومنهجيات متكاملة، فالربيع المغربي لم ينته بعد وهذا ليس تقييمي الشخصي، بل تقييم كبريات مراكز الأبحاث الغربية العاملة والملحقة ببعض السفارات التي تقول إن المغرب لم يجتز بعد الربيع المغربي وأن البلاد لا يمكن أن تعود إلى سابق عهدها سائبة مستلبة، الربيع المغربي عملية متواصلة، مترسخة ومتأججة في نفوس الناس ولكن وصول العدالة والتنمية أدخله مرحلة الانتظارية والترقب في انتظار الإصلاح الموعود، لكن استمرار عرقلة الحكومة من الداخل والخارج من داخلها وخارجها سيجعل المشهد السياسي المغربي يتجاوز خطاب العدالة والتنمية وسيعطى للمشككين والمنتقدين عن حق في إمكانية التغيير من داخل المؤسسات الدلائل القطعية على أن العمل السياسي المدني المتدرج لا قيمة ترجى منه وبالتالي ستبقى الأبواب مفتوحة على الحلول الثورية والانقلابية والتطرفية وتلك قصة أخرى وباب آخر سنعرف متى ندخله ولكن من المستحيل أن نعرف متى سنخرج منه.

المتربصين بحكومة العدالة والتنمية واهمون إذا اعتقدوا أن الحكومة ستسقط لوحدها أو على الأقل بدون ضجيج كما فعلوا مع حكومة عبد الرحمن اليوسفي، بل إسقاط الحكومة بأي طريقة وأي مبرر ستسقط معه جدران سميكة أخرى متحصنة عن التغيير وسيؤدي الانتقال الديموقراطي بالمغرب إلى دفع الثمن غاليا وسيستنتج المغاربة بأن الحكومات في المغرب لا تحكم وأن الانتخابات لا طائل منها، بل الحكم في المغرب يصنع خارج المؤسسات والإرادة الشعبية وسينظم الإسلام المعتدل مع الراديكالي - بإفشال حكومة العدالة والتنمية - واليساري المعتدل مع الراديكالي - بالانقلاب على حكومة عبد الرحمن اليوسفي - إلى جناح التغيير الراديكالي وهذه من دروس التاريخ الذي علمنا بأن الضغط دائما يؤدي إلى الانفجار لذلك يجب أن نقول جميعا مع الشهيد المهدي عامل يجب استحضار عافية العقل من أجل الاستعاذة عن ظلامية العصر.

باحث في العلاقات الدولية

عبد الحميد كشك

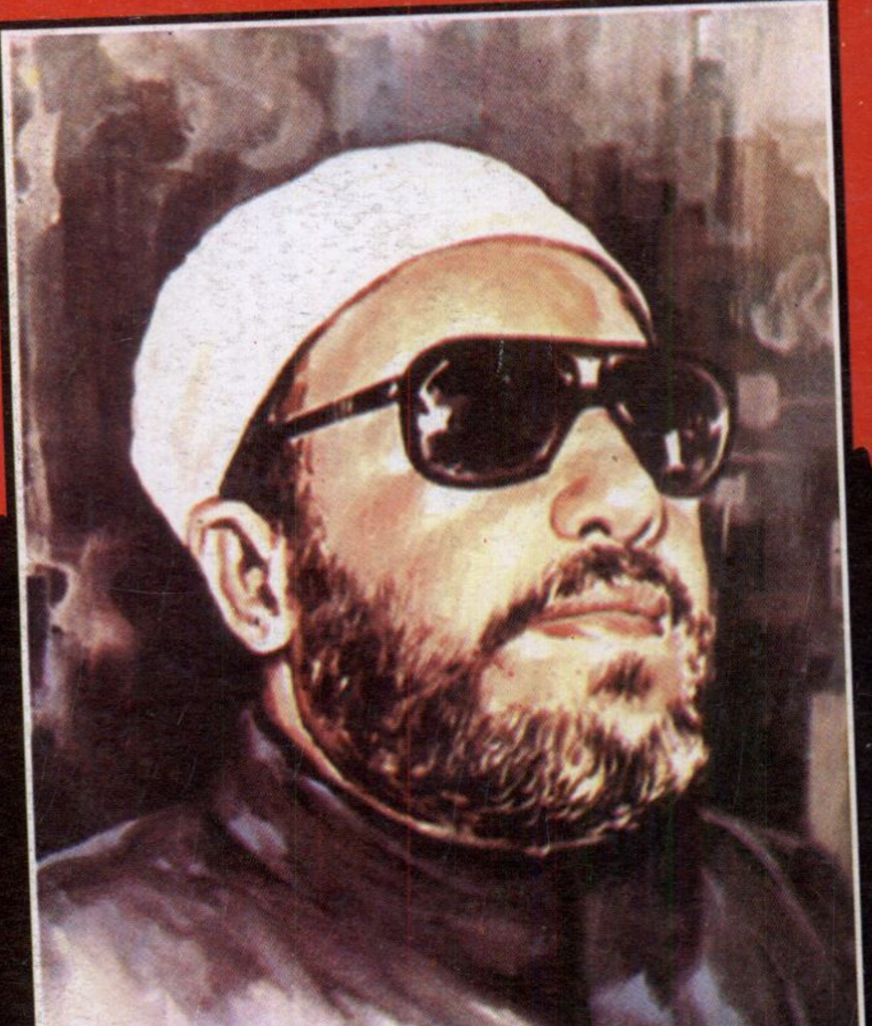

قصة أيامى
مذكرات السيخ كشك

المختار الاسلامى

مع الباعة والمكتبات